بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 27 ديسمبر 2021

التعليم الأزهري غير النظامي
والصراع حول أنماط التدين في مصر
(2020 - 2011)

محمد جمال علي
باحث مصري

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021

تقديم:

يشهد المجال الديني في مصر منذ ثورة الخامس والعشرين من يناير 2011 حضورًا أزهريًا متزايدًا في المجال العام على أصعدة مختلفة سياسيًا واجتماعيًا ودعويًا وتعليميًا؛ ومن أهم مظاهر هذا الحضور الأزهري بعض الأنشطة والفعاليات التعليمية التي تستهدف نشر العلوم الإسلامية وفق المنهج الأزهري خارج أسوار الجامعة والمعاهد الأزهرية النظامية؛ وقد انطلقت بعض هذه الفعاليات بمبادرات أهلية غير رسمية، مثل مدرسة شيخ العمود وأكاديمية وحي وغيرهما، وبعضها يعمل في إطار رسمي تحت رعاية المؤسسة الأزهرية والمتمثلة في رواق العلوم الشرعية بالأزهر الشريف، والذي شهد تطورات وتوسعات ملحوظة خلال فترة الدراسة.

وتسعى هذه الدراسة إلى التعمق في دراسة تأثير هذا الحضور الأزهري المتزايد في المجال الديني على أنماط التدين السائدة في المجتمع المصري، وقراءة موقع هذا الحضور الأزهري في مجال التعليم الديني غير النظامي من خريطة الصراعات بين القوى والجماعات الدينية المختلفة في المجتمع المصري، كما تهتم الدراسة بشكل خاص ببيان أبرز ملامح نمط التدين الأزهري المرتبط بالفعاليات التعليمية الأزهرية وتأثيرها في السلوك الاجتماعي والسياسي للمتأثرين بها مقارنة بأنماط التدين الأخرى عند التيارات السلفية وجماعات الإسلام السياسي.

وتطرح الدراسة تساؤلًا رئيسا مفاده: **كيف يؤثر الحضور التعليمي غير النظامي للأزهر في المجال العام على أنماط التدين السائدة في المجتمع المصري؟ وكيف يؤثر ذلك على العلاقة بين الدولة والمجتمع في مصر؟**

ولمزيد من الإيضاح حول إشكالية الدراسة وتساؤلاتها الرئيسة، يجدر بنا الإشارة إلى التحيزات التي دفعت الباحث نحو الكتابة في هذا الموضوع بدايًة؛ إذ إن كاتب هذه الدراسة تشغله الصراعات المتعددة التي غرقت فيها المجتمعات العربية خلال سنوات ما بعد الربيع العربي وما ارتبط بها من نزاعات سياسية ودينية ومذهبية متنوعة.

ويتمثل التحيز الرئيس للباحث في هذا الصدد، في الكشف عن التنوع في أنماط التدين الموجودة في العالم العربي وتأثير هذه الأنماط في الفكر والسلوك السياسي والاجتماعي للأفراد والجماعات، ومن ثم تأثيرها في إشعال المزيد من الصراعات أو تهدئتها؛ خاصة وأن القضايا الدينية كانت دائمًا في القلب من الصراعات التي عاشتها المجتمعات العربية.

وبعبارة أخرى، ينشغل الباحث بسؤال أكثر عمومية من السؤال الرئيس للدراسة، وهو: ما هي أنماط التدين التي بإمكان انتشارها في المجتمعات العربية أن تحقق أكبر قدر ممكن من الهدوء والاستقرار في علاقات الدولة والمجتمع؟.

ولما كانت المؤسسة الأزهرية والعلماء المنتمين للمنهج الأزهري، سواء داخل المؤسسة أو خارجها كثيرًا ما يدعون بأن التدين الأزهري هو الحل الأمثل للقضاء على التطرف الفكري والسياسي والاجتماعي، وأن المناهج السلفية وغيرها من أنماط التدين غير الأزهرية هي منابع التطرف والصراعات الاجتماعية والسياسية المنتشرة، فإن الغرض الرئيس من هذه الدراسة اختبار هذه المقولات عن طريق دراسة وتحليل تجارب التعليم والتنشئة الدينية غير النظامية وفق المنهج الأزهري، من حيث محتوى ومضمون هذه التجارب التعليمية ومن حيث مصادر رعايتها وتمويلها ومن حيث آثارها المباشرة على الأفراد المتأثرين بها.

وتستخدم الدراسة أداة المقابلات المتعمقة كأحد أدوات جمع بيانات الدراسة؛ خاصة في ظل عدم توافر مواد مكتوبة بالقدر الكافي عن موضوعات البحث المتمثلة في الأنشطة الأزهرية الجديدة في المجال العام، مثل مدرسة شيخ العمود ورواق العلوم الشرعية بالأزهر؛ حيث تعتمد على مقابلات مع أساتذة وطلاب في هذه الفعاليات التعليمية، بالإضافة إلى الاعتماد على مصادر أولية من إصدارات ومنشورات ومحاضرات تعليمية بهذه الفعاليات.

وتنقسم الدراسة إلى مبحثين اثنين؛ يتناول المبحث الأول التجارب التعليمية الأزهرية غير الرسمية، التي تُشرف عليها منظمات مجتمع مدني أو أفراد ومجموعات من علماء الأزهر المستقلين الذين يُمارسون الأنشطة التعليمية والتربوية خارج نطاق المؤسسة الأزهرية الرسمية، بينما يتناول المبحث الثاني المساقات التعليمية الأزهرية غير النظامية، والتي تُشرف عليها المؤسسة الأزهرية، والمتمثلة في نظام الأروقة الأزهرية الحرة بالجامع الأزهر، والتي يتم تطويرها وإنشاء فروع لها في الكثير من المعاهد الأزهرية بمختلف المحافظات.

المبحث الأول: ثورة يناير وتزايد الدور التربوي والتعليمي لعلماء الأزهر المستقلين

شهدت ثورة يناير 2011 مشاركة كثير من علماء الأزهر المعممين - وخاصة من الأجيال الشابة- في أحداثها المفصلية، وكانت هذه المشاركة فرصة لهؤلاء العلماء من أجل بناء تواصل فعّال مع قطاعات مهمة من الشباب المصريين الناشطين سياسيًا، خاصة بالنسبة إلى هؤلاء العلماء المستقلين غير المحسوبين على تيارات الإسلام السياسي، والذين شاركوا شباب الثورة في الأحداث التي وقعت في العام 2011، مثل الأحداث التي اشتهرت باسم أحداث محمد محمود وأحداث مجلس الوزراء[1]، وهذه الأخيرة هي التي قُتل فيها الشيخ الأزهري المُقرّب لشباب الثورة «عماد عفت»، وأحد مؤسسي **مدرسة شيخ العمود**، كما كان مقتله من أهم دوافع إصرار أقرانه من مؤسسي المدرسة على المضي قُدمًا في مشروعهم؛ وفاءً للشيخ عماد عفت ورسالته[2]، ومن المثير للانتباه أن «عماد عفت» كان من قيادات المؤسسة الدينية الرسمية؛ حيث كان أمينًا للفتوى بدار الإفتاء المصرية، وكان يحظى بسمعة جيدة في أوساط علماء المؤسسات الدينية الرسمية في مصر، ولم يمنعه ذلك من ممارسة دور ثوري واجتماعي فاعل في المجال العام.

أولًا - مدرسة شيخ العمود ومساعي إحياء النخبة الأزهرية

بينما كانت المؤسسة الأزهرية الرسمية منشغلة بالتحولات السياسية العليا في البلاد، وبصراعاتها مع تيارات الإسلام السياسي المختلفة، نشأت مدرسة شيخ العمود - بجهود أزهرية غير رسمية- كمنفذ بديل للتعليم والتربية الدينية، بعيدًا عن التيارات الإسلامية التقليدية التي انخرطت في الصراع والاستقطاب السياسي الحاد منذ يناير 2011م، وتحولت إلى خيار تربوي غير مرغوب فيه لدى كثير من الشباب الذين اختلفوا سياسيًا مع هذه التيارات، فضلًا عن تراجع شعبية «الدعاة الجدد»، وتراجع رمزيتهم وثقة الشباب بهم، في ظل تسارع وتيرة الأحداث بعد الثورة، واتخاذ بعض هؤلاء الدعاة مواقف سياسية رآها البعض من الشباب مخزية[3].

---

1 أنس السلطان .. شيخ العمود الشاهد على أحداث الثورة، موقع شفاف، 26 مايو 2015. http://www.shafaff.com/article/4808

وانظر أيضًا حديث الشيخ أنس سلطان عن ذكرياته خلال ثورة يناير: في هذا المكان .. مع الشيخ أنس السلطان، قناة الجزيرة مباشر، موقع يوتيوب، 26 يناير 2012. متاح على الرابط: https://goo.gl/GAvKm3

2 انظر الفيديو التعريفي للمدرسة على موقعها الرسمي متاح على الرابط: http://sheikhalamoud.org/

جدير بالذكر أن المدرسة تعمل في إطار قانوني كجمعية أهلية مُشهرة، وتعتمد في تمويلها بالأساس على ما يدفعه الطلاب نظير الدورات والمحاضرات التي يتم تنظيمها، إلى جانب بعض الجهود التطوعية للمؤمنين برسالة المدرسة. مقابلة مع الأستاذ عماد أحمد، المدير التنفيذي لمدرسة شيخ العمود، بتاريخ 25 ديسمبر 2018.

3 زينب إسماعيل البقري: تحولات جيل شباب الإسلاميين: ما بين البحث عن هوية ورفض التنظيمات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، معهد الدوحة للدراسات العليا، الدوحة 2017، ص 79، 80.

ولذلك مثّلت مدرسة شيخ العمود عودة للمنهج الأزهري -الذي كان شبه غائب عن المجال العام وحبيسًا داخل أسوار الأزهر جامعًا وجامعة- ولكن بصورة ثورية، تختلف عن تلك الصورة النمطية للمنهج الأزهري، والتي عرفها الناس من خلال الإعلام، أو من خلال الدراسة التقليدية النمطية في جامعة الأزهر ومعاهده؛ فمدرسة شيخ العمود ليست متجاهلة للسياسة، بل هي «**مهمومة بالسياسة بالمعنى العام، الذي هو إصلاح الأمور، وليس بالسياسة بمعنى الدعوة إلى بعض الأحزاب أو المرشحين دون غيرهم، ولكن نريد أن نكون ساحة آمنة لاستقبال المختلفين سياسيًا والمختلفين مذهبيًا والراغبين في التعلم بمنهجية تراثية فقط ... فكان ظهور المدرسة ضرورة من أجل الخروج بالحالة الإسلامية من الاستقطاب السياسي والأيديولوجي الحاد الذي شهدته مصر في مرحلة ما بعد الثورة**»[4].

وبذلك تُعلن مدرسة شيخ العمود أن من أهداف نشاطها التعليمي تحقيق الهدوء في العلاقة بين التكوينات المجتمعية المختلفة والمتناحرة؛ خاصة بالنظر إلى اللحظة الثورية المليئة بالصراعات السياسية والأيديولوجية، والتي خرجت المدرسة من رحمها، ويتأكد ذلك من خلال قراءة «دليل الدراسة بمسارات وأنظمة مدرسة شيخ العمود»، والذي ينص على أن من أهداف المدرسة التأسيسية «**التصالحية، والتعاون قدر الإمكان مع كافة المؤسسات والأنشطة المناظرة**»، وأن «**لا عمل بالسياسة، ولا استحضار لأي تصنيف فقهي أو حركي أو مذهبي**».

ويقول الدليل عن أهداف المدرسة: «**نريد أن يحرص الناس على تعلّم كل ما من شأنه أن يجعل حياتهم أفضل في الدنيا والآخرة، مع حرصهم على التعاون المستمر في سبيل ذلك، فإن أكبر داء أُصيبت به الأمة عبر تاريخها هو عدم القدرة على التعاون رغم وجود الخلاف**»، كما يؤكد على أهمية إحياء التعليم «**كوظيفة أساسية للمجتمع والأمة، قبل أن يكون من وظائف الحكومة والدولة**»[5]، وهي بذلك تسعى لأن يسترد المجتمع وظيفته المفقودة في الإنفاق على التعليم وتوجيهه، إلى جانب التوجيه الحكومي.

وتعلن المدرسة أن من أهم أهدافها: «**إعادة التواصل المفقود بين علماء الأمة وشبابها**»؛ وفي سبيل ذلك فهي تسعى لنشر الثقافة الشرعية بين هؤلاء الشباب، من خلال تدريس العلوم الشرعية واللغوية؛ كالفقه وأصوله والعقيدة والتزكية والمنطق وعلوم القرآن والنحو والصرف والبلاغة لغير المتخصصين من أبناء التعليم المدني الحديث، إلى جانب الدراسات الاجتماعية والإنسانية؛ كالاجتماع والسياسة والاقتصاد والإدارة والفلسفة والآداب والفنون وعلم النفس، وبعض العلوم الطبيعية كالطب، والصيدلة، والنبات، والحيوان،

4 حوار مع الشيخ أنس السلطان مؤسس مدرسة شيخ العمود من خلال مراسلات صوتية عبر تطبيق «الواتس آب» خلال شهر نوفمبر 2018

5 مجلس أمناء شيخ العمود: دليل الدراسة بمسارات وأنظمة مدرسة شيخ العمود (التعريفي - الأروقة - المجالس - الكتاب - التثقيفي - الندوات)، ربيع الآخر 1439هـ / يناير 2018م، ص 8،9،11. متاح على الرابط: https://goo.gl/Bcyteg

والميكانيكا، والفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والفلك وغيرها[6]، وتبرر المدرسة ذلك بأنه «**انطلاقا من رؤيتنا لشمولية مقاصد الإسلام عقيدة وشريعة وتزكية وعمرانًا، راعينا أن نضم مختلف ألوان العلوم؛ الشرعية واللغوية والإنسانية والطبيعية؛ وذلك لمراعاة التكاملية التعليمية المطلوبة، وأن يتم التعليم بوسائل تخاطب العقل والوجدان معًا، وتلبي احتياجات واقع الأمة، علي أيدي متخصصين، وبأسس منهجية راسخة**»[7].

وتعكس هذه التوليفة من التخصصات العلمية المختلفة رغبة القائمين على المدرسة في تعزيز التواصل بين علوم الشرع والعلوم الدنيوية الحديثة؛ مما يُسهم في إحياء دور الدين في المجال العام، وفي توجيه الفكر والسلوك في مصر بعد الثورة، وبالتالي إعادة علماء الشريعة إلى مركز التفاعلات السياسية والاجتماعية، وقد اختار القائمون على المشروع اسم (**مدرسة شيخ العمود**)؛ لإحياء الصورة الذهنية عن كل من:

المدارس الإسلامية القديمة؛ كمدرسة السلطان حسن والمدرسة النظامية وغيرها من مدارس العلم؛ ولذلك فضّل القائمون على المشروع اسم «مدرسة» عن غيره من الأسماء، كـ «أكاديمية» أو «كلية»، أو غيرها.

الشيخ العالم الأزهري الذي يجلس مستندًا إلى أحد أعمدة الجامع الأزهر، ويلتف من حوله طلاب العلم يأخذون عنه العلم والأخلاق معًا، وهي صورة ذهنية تعمدت المدرسة -بحسب موقعها الرسمي ودليل الدراسة فيها- توصيلها للجمهور؛ وهو ما يؤكد وضع مؤسسي المدرسة مسألة إعادة علماء الشريعة إلى مركز التفاعلات السياسية والاجتماعية كهدف إستراتيجي لعملهم[8].

وتعتبر مدرسة شيخ العمود نفسها امتدادًا للمنهج الأزهري «**الذي توارثته الأمة عبر القرون المختلفة من تاريخها، والقائم على مجموعة مختلفة من الأمور، ليست فقط الأشعرية في العقيدة والمذهبية في الفقه والتصوف في السلوك، وإنما يقوم هذا المنهج على أركان كثيرة، منها الطالب، وله مجموعة من**

---

6 انظر وصف المدرسة لنفسها على موقعها الرسمي متاح على الرابط: http://sheikhalamoud.org/about

وانظر أيضًا عناوين الدورات التي نظمتها المدرسة، والتي نجد فيها اهتمامًا كبيرًا بعلوم الاجتماع وقضايا المجتمع المصري وعلوم الإدارة وغيرها، متاح على موقع المدرسة على رابط: http://sheikhalamoud.org/archive

مع التأكيد على أن مساحة العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وغيرها محدودة للغاية، وتقتصر على تعريفات ومبادئ أساسية تُعطى في الدورات التمهيدية دون التعمق في دراسة هذه العلوم؛ لبعدها عن أهداف المدرسة الرئيسة، ونستنتج ذلك من عدم وجود أي ذكر على موقع المدرسة لأي دورات مستقلة متخصصة في العلوم الطبيعية قامت المدرسة بتنظيمها، وواضح أن الهدف من إدراج هذه العلوم ضمن اهتمامات المدرسة هو لفت الانتباه إلى صورة المدارس المأمولة في أذهان مؤسسي المدرسة، والتي تضم في جنباتها كافة أنواع العلوم القادرة على صنع الحضارة المادية، وبناء الإنسان فكريًا وفلسفيًا من منظور إسلامي في الوقت ذاته.

7 انظر الصفحة الرئيسة لموقع مدرسة شيخ العمود على الرابط: https://sheikhalamoud.org/

8 مجلس أمناء شيخ العمود: دليل الدراسة بمسارات وأنظمة مدرسة شيخ العمود (التعريفي - الأروقة - المجالس - الكتاب - التثقيفي - الندوات)، مرجع سابق، ص 10

الصفات والشروط، والأستاذ، وله مجموعة من الصفات والشروط، والمنهج العلمي، الذي هو الكتب الدراسية وترتيب الكتب بعضها على بعض، والتفرقة بين الكتب المناسبة للتدريس والكتب المناسبة للمطالعة والمذاكرة، وأخيرًا الجو العلمي أو الأنشطة العلمية المصاحبة لعملية التعلم .. وهو ليس منهجًا خاصًا بالأزهر فقط؛ ولكنه منهج مشترك بين الأزهر وغيره من المدارس العلمية التي كانت شائعة في بلاد المسلمين عبر العصور، مثل مدرسة السلطان حسن وجامعي الزيتونة والقرويين والحرمين المكي والنبوي والجامع الأموي بدمشق ... أما شيخ العمود فهي نعم امتداد لهذا المنهج الأزهري، تتحرك به في أوساط الشباب، تنشره بين الناس؛ لأننا نعتقد -والله أعلم- أن عودة الناس إلى هذا المنهج فيه خير عظيم لها في دينها ودنياها»[9].

وبذلك تُصنّف مدرسة شيخ العمود ذاتها ضمن المدرسة «**التراثية**» الذي ينتمي إليها الأزهر، وهي مدرسة تختلف عن المدرسة السلفية «المُعاصرة» التي تمتعت بنفوذ كبير في المجال الديني خلال العقود الأخيرة؛ حيث يقول عنها أنس السلطان: «**أهم فارق بين المدرسة التراثية في التعليم والتربية وبين المدرسة الحداثية التي يسمونها خطأً بالسلفية -وليست من السلفية في شيء- يتمثل في مسألة الجمود والسعة؛ فالمدرسة التراثية عندها قبول لفكرة الخلاف المذهبي، حيث يمكن أن تتعدد الآراء تجاه المسألة الواحدة، وهذا لا يمنع من التعاون، ولا يعني ضلال أحد المختلفين، بخلاف المدرسة الأخرى التي عندها قدر كبير من أحادية الرأي؛ إما أن تكون معي وإما أن تكون على الباطل والضلال**»[10]؛ وبذلك يمكن القول إن مدرسة شيخ العمود تصطف مع النشاط الأزهري الرسمي، الرامي إلى تحجيم النفوذ السلفي «الوهابي» في المجال الديني، لصالح ترسيخ المنهج الأزهري ونمط التدين المرتبط به؛ وربما يعكس ذلك قدرًا من التناقض مع ما تطرحه المدرسة في دليل الدراسة بها بشأن السعي للتصالحية وعدم استحضار التصنيفات الفقهية أو المذهبية؛ وإنما يمكن القول بذلك أن مدرسة شيخ العمود تعتبر نفسها أحد الفاعلين في الصراع القائم في المجال الديني بين المنهجين «السلفي» و«الأزهري».

ولا غرابة إذن في أن تُمثّل مدرسة شيخ العمود «جسرًا أو قنطرة»، يعبر من خلالها الشباب من طلاب الجامعات المدنية نحو الأزهر «الرسمي التقليدي»؛ حيث يتعرف كثير من الطلاب إلى المنهج الأزهري من خلال مدرسة شيخ العمود، ويحتكون بعلمائه، وينتقلون معهم إلى أروقة الجامع الأزهر أو المضايف العلمية لعلماء الأزهر؛ كمضيفة الشيخ إسماعيل صادق العدوي وغيرها[11]؛ وذلك بعد إتمامهم للمستوى

9 مقابلة مع الشيخ أنس السلطان مؤسس مدرسة شيخ العمود من خلال مراسلات صوتية عبر تطبيق «الواتس أب» خلال شهر نوفمبر 2018

10 المرجع السابق نفسه.

11 تنتشر بمحيط الجامع الأزهر أماكن مُخصصة لتدريس العلوم الشرعية، قام بتأسيسها عدد من علماء الأزهر الكبار، منهم من مات ومنهم من لا يزال على قيد الحياة، مثل مضيفة الشيخ علي جمعة، ومضيفة الشيخ الدح، ومضيفة الشيخ إسماعيل صادق العدوي، وهي عادة تُسمى بأسماء العلماء المؤسسين لها، وتكون الدراسة بهذه المضايف دراسة حرة تمامًا، ليس بها الشكل النظامي الموجود بمدرسة شيخ العمود، أو بنظام الأروقة الحديث في الأزهر.

التعريفي الأول للعلوم الشرعية، فيما يُسمى بالدورة التعريفية بالعلوم الشرعية، والتي تُعتبر أول ما يدرسه الطالب بمدرسة شيخ العمود، والذي يؤهل الطالب إما لاستكمال الدراسات الشرعية المُعمّقة في مدرسة شيخ العمود، أو استكمال الدراسة في أروقة الجامع الأزهر التقليدية، بعد أن تتكون لديه رؤية عامة عن علاقة العلوم الشرعية ببعضها، والمسار العلمي التدريجي الذي يجب عليه السير فيه[12]، فضلًا عن تكوينه لعلاقات مع محيط من المهتمين بدراسة العلوم الشرعية، الذين يتعرف من خلالهم إلى الأنشطة الأزهرية المُختلفة.

وقد رصدت زينب البقري في دراستها اندهاش القائمين على مضيفة الشيخ إسماعيل صادق العدوي من ظهور فئة جديدة من طلاب العلم والمقبلين على حلقات الدرس بهذه المضايف، تختلف بصورة كبيرة عن الصورة النمطية المعتادة لطالب العلم الأزهري، وترى الباحثة أن هذا الإقبال من شباب الجامعات المدنية على طلب العلم الشرعي بالمنافذ الأزهرية التقليدية يؤثر في طبيعة الدراسة التقليدية الأزهرية ذاتها، وتستدل على ذلك باهتمام الجامع الأزهر ذاته بالإعلان عن دورات في موضوعات مُحددة، وفي وقت مُحدد، غير الدروس المطولة المفتوحة من قبل، إلى جانب تطور الأدوات الإعلامية لدروس العلم الشرعي بالجامع الأزهر على مواقع التواصل الاجتماعي[13]؛ وبذلك يُمكن القول إن النشاط الأزهري غير الرسمي يُعتبر أحد أهم دوافع الأزهر الرسمي لتزايد نشاطه ووجوده، واستثماره لحالة الإقبال على المنهج الأزهري التي خلقها نشاط مدرسة شيخ العمود، وما يُشبهها من أنشطة ومنافذ أزهرية لعلماء الأزهر المستقلين.

فضلًا عن ذلك، فإن ارتباط مشايخ مدرسة شيخ العمود بثورة يناير وأحداثها، والتوجه الثوري المعروف لهم، هو أحد أهم عوامل الجذب للكثير من الشباب الذين آمنوا بثورة يناير، ولأبناء التيارات الإسلامية التي وقفت موقف المعارضة للنظام في مصر بعد الثلاثين من يونيو 2013؛ حيث كان لتبني بعض شباب العلماء القائمين على التدريس بمدرسة شيخ العمود مواقف متعاطفة مع التيارات الإسلامية، ورافضة لإجراءات ما بعد الثالث من يوليو 2013؛ كان لهم دور في زرع الثقة بهذه المدرسة لدى قطاعات واسعة من شباب التيارات الإسلامية، بما فيها التيارات السلفية التي تختلف مع المنهجية العلمية الأزهرية بصورة كبيرة[14].

كما أن المرجعية الفكرية للمدرسة لا تتمثل في العلوم الشرعية التراثية والمنهج الأزهري فحسب؛ وإنما يُمثل الفكر الإسلامي المُعاصر رافدًا من أهم روافدها؛ وذلك نظرًا لتأثر مؤسسيها بمناقشات جمعية مصر للثقافة والحوار، التي أسسها الدكتور محمد سليم العوا، والتي أسفرت عن تفاعل فكري بين نخبة من الشباب

12 مقابلة مع الشيخ أنس السلطان مؤسس مدرسة شيخ العمود من خلال مراسلات صوتية عبر تطبيق «الواتس آب» خلال شهر نوفمبر 2018

13 زينب البقري، مرجع سابق، ص 89، 90

14 من دلائل ذلك تعرُّض أنس السلطان ذاته للاعتقال من قبل الأمن المصري في عام 2014، كما نشر عددًا من المقالات يهاجم فيها دور الأزهر الرسمي وموقفه من إسقاط الإسلاميين عن الحكم في مصر، ويفسر فيها الهجوم الإعلامي الشديد على المؤسسة الأزهرية بأنه ناتج عن انهيار التيارات الإسلامية، الذي أفسح المجال أمام التيارات العلمانية للهجوم على الأزهر، مشبهًا ذلك بمثل «أكلت يوم أكل الثور الأبيض». انظر هذه المقالات على موقع مدونات الجزيرة: أنس السلطان: وجاء دور الأزهر (بكائية الثور الأسود)، مدونات الجزيرة، أبريل 2017. متاح على الرابط: https://goo.gl/LonzSN. وانظر أيضًا: أنس السلطان: رسالة إلى باسم يوسف: قبِّل يد شيخ الأزهر!، مدونات الجزيرة، أبريل 2017. https://goo.gl/BjuZRp

«الإسلاميين»، أسفرت عن ظهور عدد من المبادرات الثقافية، مثل فريق «معرفة»، ثم مدرسة شيخ العمود في وقت لاحق، كما تأثر مؤسسو المدرسة كذلك بتيار الإسلام الحضاري بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، الذي أسسه الدكتور حامد ربيع والدكتورة منى أبو الفضل، ومن أهم رموزه خلال فترة الدراسة الدكتور سيف الدين عبد الفتاح والدكتورة نادية مصطفى[15].

وكذلك لا تضم المدرسة في قائمة المُحاضرين والمُدرسين بها الأزهريين فقط؛ بل إنها تضم عددًا من الباحثين والمتخصصين في مجالات شتى، وخاصة مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، مثل الاقتصاد والإدارة والسياسة والاجتماع، وغيرها[16].

ومن ألمع نجوم هذه المدرسة وأكثرهم تأثيرًا في جمهورها المهندس أيمن عبد الرحيم، الذي لا يمكن تصنيفه بحال ضمن علماء الأزهر، أو حتى ضمن أولئك المنتمين إلى المنهج الأزهري، بل إنه يُصنّف ضمن «المثقفين الإسلاميين»، الذين تلقوا تعليمًا مدنيًا، واجتهدوا في تأسيس ثقافتهم الشرعية بشكل عصامي، كما أن موضوعات دروسه بمدرسة شيخ العمود لا تتعلق بالعلوم الشرعية، وإنما تتعلق بصورة أكبر بالعلوم الاجتماعية كالتاريخ وعلم النفس، وكل ما يرتبط بتأسيس الوعي بالتفاعلات السياسية والاجتماعية التي يمر بها العالم الإسلامي المُعاصر[17]؛ حيث يتم بشكل متكرر تنظيم دورة «تأسيس وعي المُسلم المُعاصر» بمدرسة شيخ العمود، التي تتناول «**التعريف بالأمة على مستوى التاريخ والجغرافيا والبنية الاجتماعية والسياسية، وذلك عن طريق السرد التاريخي لعلاقة الأمة الإسلامية بالاستعمار منذ ظهور البرتغال كدولة استعمارية، مرورًا بإسبانيا وهولاندا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا وروسيا والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، ومناقشة عوامل صمود الأمة أو انسحاقها في وجه هذه الموجات المتتالية، ولكن بالتركيز على أثر هذه الموجات وما تبعها من محاولات للتحديث على يد بعض الحكام على البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأمة**»[18].

ويبدو من الموضوعات التي يطرحها أيمن عبد الرحيم في محاضراته أن هناك تقاطعًا مع الكثير من أفكار تيارات الإسلام السياسي، فيما يتعلق بقضايا الأمة ووحدتها، وآثار الاستعمار عليها وغير ذلك، ولعل

15 زينب إسماعيل البقري: تحولات جيل شباب الإسلاميين: ما بين البحث عن هوية ورفض التنظيمات، مرجع سابق، ص 78

16 انظر قائمة المحاضرين على الموقع الرسمي للمدرسة متاح على الرابط: http://sheikhalamoud.org/instructors

17 يتم تصنيف هذا النوع من العلوم داخل المدرسة ضمن فئه «علوم إنسانية متداخلة» وفقًا لموقع المدرسة، انظر أرشيف المدرسة على الرابط التالي: https://sheikhalamoud.org/archive#53

18 عبد الله ريان: جمهرة أعمال المهندس أيمن عبد الرحيم، ص 51. متاح على الرابط: https://goo.gl/YoW5QN

يُذكر أنه قد تم إلقاء القبض على المهندس أيمن عبد الرحيم في شهر سبتمبر 2018، وهو ما أثار تعاطفًا كبيرًا معه من قبل طلابه في مدرسة شيخ العمود وغيرهم من المتأثرين بأفكاره، وعرفانًا منهم بجهوده قام بعضهم بإعداد جمهرة أعماله، التي نعتمد عليها في تحليل أفكاره وتأثيرها الآن، ويمكننا القول أيضًا إن إقدام الأمن المصري على القبض على أيمن عبد الرحيم يعكس حدود توجه الدولة تجاه مدرسة شيخ العمود؛ حيث تسعى لإبقائها في حدود العلوم الشرعية والثقافة الدينية العامة، دون التطرق لقضايا سياسية وتاريخية بمنهجية تتقارب مع منهجية التيارات الإسلامية.

هذا الاتساق مع أفكار التيار الإسلامي لا يخفيه أنس السلطان نفسه في كثير من مقالاته، التي انتقد فيها بعض مواقف الأزهر الرسمي، وأعرب عن تعاطفه مع تيارات الإسلام السياسي، وهذا التقارب الفكري له أثر كبير في اجتذاب أبناء التيار الإسلامي للدراسة بمدرسة شيخ العمود، والتعرف –عن قرب- إلى الأزهر منهجًا وعلماءَ ومؤسسةً، وقد أكد أنس السلطان أن أعداد المنتمين إلى تيارات الإسلام السياسي قد ارتفعت نسبيًا بين طلاب مدرسة شيخ العمود بعد التفكك الذي أصاب هذه التيارات، ونفور أعضائها منها منذ أحداث الثلاثين من يونيو عام 2013[19].

ولكن الأمر المحوري في هذا المقام هو تأثير مدرسة شيخ العمود المباشر على أفكار أبناء التيارات الإسلامية، وعلى سلوكهم السياسي المستقبلي، ولعلنا نجد ذلك في بعض أطروحات أيمن عبد الرحيم صاحب الشعبية الواسعة بين طلاب المدرسة، التي أطلقها في سلسلة مقالات تحت عنوان «معًا لحل تنظيم جماعة الإخوان المسلمين»، يدعو فيها إلى تجاوز فكرة التنظيمات الإسلامية التي أضرت بالفكرة أكثر مما نفعتها، كما يدعو إلى تعزيز دور الجماعات الوسيطة التعليمية والاقتصادية والدعوية والتوعوية، وبناء شبكة مجتمعية لا مركزية، تأتلف ذاتيًا دونما توجيهات من تنظيمات مركزية، من شأنها قتل الإبداع وخلق التبعية والاتكالية؛ كما يرى أن نشأة التنظيمات الإسلامية هي نشأة «حداثية» بامتياز، جاءت في سياق التتلمذ على المشروع النهضوي الغربي، بمحاولة استقدام كافة أدواته التنظيمية والمادية، وأن هذه التنظيمات الحداثية التي تعتمد على الشخص شديد التخصص عالي الكفاءة ليقوم بدور «الترس» في آلة ضخمة، لا يمكنها القيام بالوظيفة المركزية في المنظور الإسلامي، وهي وظيفة «بناء الإنسان»، صاحب الوعي المتكامل القابل للاستخلاف في الأرض[20].

ويستشهد في ذلك بكلام الفقيه المغربي فريد الأنصاري، الذي ينتقد استمرار الهياكل القديمة للحركات الإسلامية[21]، كما تتفق أطروحته هذه مع ما طرحه جاسم سلطان بشأن الآثار السلبية للتنظيمات الإسلامية على المجتمعات الإسلامية، التي يُصيبها التمزق والتشتت؛ نتيجة للانشغال بـ «تجنيد» الشبان في هياكلها التنظيمية، أكثر من الانشغال بتعليمهم وتنمية مهاراتهم، ونشر العلوم والمعارف الشرعية والاجتماعية الكافية لبناء إنسان واعٍ وفعّال، بدلًا من الاعتماد على الإثارة الحماسية، والدفعات التربوية العاطفية دون غيرها.

وقد اجتهدت زينب البقري في بحث تأثير مدرسة شيخ العمود وغيرها من الفعاليات الثقافية والتربوية -التي لجأ إليها شباب التيار الإسلامي بعد الثلاثين من يونيو 2013- في بنية التنظيمات الإسلامية، وفي أفكار

19 مقابلة مع الشيخ أنس السلطان مؤسس مدرسة شيخ العمود، مرجع سابق.

20 عبد الله ريان: جمهرة أعمال المهندس أيمن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 50-5

21 للمزيد انظر: فريد الأنصاري: الفطرية .. بعثة التجديد المقبلة، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2009

هذه التنظيمات، وإيمان الشباب بجدواها، ومن خلال مقابلات مُعمّقة مع عينة من هؤلاء الطلاب، توصلت إلى أن قطاعًا واسعًا من شباب الجماعات الإسلامية فقدوا إيمانهم بجدوى «التنظيمات»، التي تفرض عليهم قيودًا شديدة، ولا تُقدم لهم إجابات مُقنعة عن كثير من التساؤلات الدينية والسياسية والاجتماعية، فضلًا عن انكشاف الفقر العلمي والفكري لهذه التنظيمات وقياداتها، مقارنة بما رأوه من فهم عميق لعلوم الشريعة لدى المدرسين بمدرسة شيخ العمود، وهذا الانكشاف دفع فئة من هؤلاء الطلاب الذين لا يزالون يتمسكون بانتمائهم للتنظيم إلى نقل مناهج التعليم التي يدرسونها بمدرسة شيخ العمود؛ ليتم تدارسها في اللقاءات الخاصة بهذه التنظيمات، مثل «الأسر الإخوانية»؛ لعدم قناعة هؤلاء بجدوى المواد العلمية التي يعتمدها التنظيم.

ومع ذلك ترى زينب البقري أن ثمة مظاهر لمجتمع منغلق شبيه بمجتمع التنظيمات يتشكل داخل مدرسة شيخ العمود؛ حيث يلجأ إليها البعض بدافع «البحث عن الشبيه، والتخلص من الشعور بالغربة»، الذي هو أحد أسباب الانضمام للجماعات الإسلامية من الأساس، كما يستخدم رواد المدرسة لغة خاصة بهم، تتضمن مفردات شرعية تراثية، مثل «سيدنا - مولانا - ساداتنا»، التي تُفضي إلى تكريس السلطة الأبوية للمشايخ كبديل عن سلطة قيادات الجماعات الإسلامية سابقًا، إلا أن الباحثة استنتجت -في ختام بحثها- أن مدرسة شيخ العمود غير قادرة على أن تحل محل التنظيمات الكبرى؛ لأنها لا تمتلك جميع الحقائب العقدية والإيمانية والنفسية والاجتماعية التي كانت تقدمها التنظيمات لأفرادها، والتي كانت تجعل منهم مجتمعًا شبه قادر على الاستقلال عن المجتمع التقليدي، من حيث اكتفاء أفراده بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية داخل حدود التنظيم[22].

ونخلص مما طرحته زينب البقري إلى أن ثمة حالة تفكك تاريخية تشهدها التنظيمات الإسلامية بالفعل خلال فترة الدراسة، وأن بعض المتفلتين من هذه التنظيمات يجدون في مدرسة شيخ العمود بديلًا مُناسبًا، يرفع عنهم الحرج الشرعي، ويُعوضهم عن بعض الجوانب التربوية والإيمانية التي افتقدوها جراء انسحابهم من التنظيم، خاصة مع توفير هذه المدرسة لهؤلاء الشباب بيئة قريبة مما اعتادوا عليه، من حيث نمط السلوك المتدين المُحافظ، ومع هذا فالمدرسة تظل بالنسبة لبعض طلابها مجرد منفذ تعليمي وتربوي، يتحرر فيه الفرد من القيود التنظيمية والتكليفات الحركية بداخلها، وربما يتهيّأ فيها بعضهم -كمحطة انتقالية- من أجل الاستعداد للانخراط في المجتمع من جديد كفرد عادي من أبناء المجتمع، لا يحمل بداخله بطاقة انتماء لمجتمع آخر ذي هوية مختلفة، ينظر إلى المجتمع الطبيعي على أنه «الآخر»، بينما ينظر إلى من هم داخل التنظيم على أنهم «إخوته» الخواص.

22 للمزيد انظر: زينب إسماعيل البقري، مرجع سابق، ص 78 وما بعدها.

وقد رأينا إفراد نتائج هذه الدراسة بمساحة كبيرة من بحثنا؛ نظرًا لكونها المرجع الثانوي الوحيد الذي أمكننا الحصول عليه فيما يتعلق بمدرسة شيخ العمود والتحولات الفكرية لدى الشباب من روادها.

وبذلك - ومن باب استشراف المستقبل- يُمكن القول إن التفاعل بين النشطاء الإسلاميين وعلماء الأزهر من خلال مدرسة شيخ العمود وغيرها قد يتمخض عن أنماط جديدة من الممارسة السياسية «الإسلامية»، تختلف عن نمط تيارات الإسلام السياسي التقليدية، التي كانت تتولى بنفسها القيام بكافة الوظائف الدعوية والسياسية والتربوية، وتزعم تقديم «حل شامل» لكافة أزمات المجتمع؛ فانكشاف السطحية الفكرية والعلمية للتنظيمات الإسلامية لدى هؤلاء الشباب؛ إلى جانب شيوع انتقاد جماعات الإسلام السياسي بسبب ما يتم وصفه بالمواقف الانتهازية في التعامل مع النصوص الشرعية لتدعيم مواقف هذه الجماعات ومصالحها السياسية دون انضباط جاد وحقيقي في التعامل مع النصوص الشرعية[23]؛ ربما يدفع كل ذلك هؤلاء المتفلتين من التنظيمات الإسلامية المُقبلين على دراسة العلوم الشرعية وفق المنهج الأزهري إلى احترام التخصص، وتقديم أهل العلم الشرعي لشئون الدعوة والتربية والتعليم والتفسير الديني، بينما سيتولى الحركيون منهم أمور السياسة الحزبية المُنفصلة عن العمل الدعوي والتعليمي، وهو ما سيكون ترجمة واقعية للمطالبات القديمة بـ«فصل الدعوي عن السياسي» لدى التيارات الإسلامية الفاعلة بالمجال العام.

ثانيًا- الدعوة الإسلامية من "الدعاة الجدد" إلى "المعلمين الجدد"

في خِضم هذه التحولات الفكرية والاجتماعية لشباب التيار الإسلامي، وللمقبلين على التدين بصفة عامة، ترصد الدراسة ظاهرة جديدة يتزايد حضورها خلال فترة الدراسة، وهي الظاهرة التي نسميها ظاهرة **«المعلمين الجدد»**[24]؛ وتُعبر هذه الظاهرة عن صعود نجم مجموعات من شباب علماء الأزهر المستقلين، الذين قد يحل نفوذهم في المجال العام محل كل من «الدعاة الجدد» وقيادات العمل الإسلامي.

والدعاة الجدد وصف أُطلق على مجموعات من شباب الدعاة، بدأت في الظهور وتزايد نفوذها خلال العقد الأول من القرن الحالي؛ لتستحوذ على نفوذ كبير في المجال الديني، وتجذب إليها قطاعات واسعة من الشباب المقبلين على التدين، وخاصة من المنتمين للطبقات البرجوازية، ليس في مصر وحدها، ولكن في العديد من بلدان العالم الإسلامي. ويرى البعض أن ظاهرة الدعاة الجدد ارتبط صعودها بسياق من سيادة

23 عمرو عبد الرحمن، نهاية الإحيائية الإسلامية.. التعليم الديني المستقل بعد 2011: الخصائص والتناقضات ومسارات المستقبل، منشورات قانونية، سبتمبر 2019، ص10

24 استخدمت الباحثة مليكة الزغل في كتابها «حراس الإسلام» مفهوم «العلماء الجدد» في وصف ظاهرة قريبة من الظاهرة التي تصفها الدراسة الحالية؛ حيث وصفت حراك مجموعات من علماء الأزهر -وغيرهم من علماء الشريعة في عدد من بلدان العالم الإسلامي خلال الثمانينيات- الهادف لنشر العلوم الشرعية خارج نطاق الجامعات وقاعات الدرس الحديثة؛ وصفت هؤلاء العلماء بـ «العلماء الجدد»، ووصفت حراكهم بأنه «إفلات من الدولة وعودة إلى الجامع»؛ وذلك لرغبتهم في العودة لطرق التدريس القديمة في الجوامع؛ تمردًا على الإصلاحات التي وقعت في نظم التعليم الديني منذ الستينيات، وعلى احتكار الجامعات الإسلامية وشهاداتها الرسمية التي تهيمن عليها الدولة لوظيفة تخريج «الشيوخ أو رجال الدين»، واعتقادهم بأن الجامعات الإسلامية فقدت هويتها الدينية الأصيلة بإدخال المعارف الحديثة عليها. مليكة الزغل، مرجع سابق، ص 46-58. بينما فضلت هذه الدراسة استخدام مفهوم «المعلمين الجدد» على وصف «العلماء الجدد»؛ لعدة أسباب، منها دلالة مفهوم «المعلمون الجدد» على طبيعة نشاط هؤلاء المعلمين في المجال العام، من حيث هو نشاط تعليمي بالأساس، يهدف لنشر علوم الشريعة وفق المنهج الأزهري بطرق علمية، فضلًا عن ارتباط وصف «علماء» في المدارس العلمية والشرعية الكبرى بدرجة من العلم والاجتهاد، ربما لم يبلغها هؤلاء المعلمون الأزهريون الجدد بحسب توصيفاتهم لأنفسهم؛ باعتبارهم طلاب علم، وليس باعتبارهم علماء.

الروح الرأسمالية، وبزوغ أفكار التنمية البشرية التي ترتكز إلى القيم البروتستانتية الأمريكية، من تركيز على النجاح الفردي وتحقيق الثروة، وحول هذه القيم ذاتها تمركز اهتمام «الدعاة الجدد» في برامجهم وحواراتهم الدينية؛ حيث باتت الدعوة -وفق أسلوبهم- عملًا تسويقيًا إعلاميًا، يعتمد منطق «السوق» الرأسمالي، وأصبح نتاجها نمطًا من التدين الفردي، يتضمن القيم الحداثية الفردانية، وما يرتبط بها من تفتيت للقيم الدينية المركزية الكبرى التي تُصيبها السيولة، مثل مفهوم الجهاد، والطموحات الكبرى التي قامت عليها الصحوة الإسلامية[25].

بفعل أحداث ثورة يناير، لم تتمكن ظاهرة الدعاة الجدد من الحفاظ على ذات القدر من النفوذ في المجال العام الذي كانت تتمتع به في مرحلة ما قبل الثورة، خاصة بعد اتخاذ هؤلاء الدعاة مواقف متحفظة من الثورة، التي انخرطت فيها وفيما تلاها من أحداث قطاعات واسعة من الشباب؛ كما أن التنظيمات الإسلامية التقليدية لم تعد بعد الثورة بذات الجاذبية للقطاعات الشابة؛ نتيجة للخلافات السياسية الكبيرة بينها وبين التيارات الشبابية الثورية، واجتمعت هذه التطورات لتُفسح الطريق أمام «المعلمين الجدد»، الذين شاركوا مع الشباب في الثورة وأحداثها، وتمايزوا عن المواقف السياسية للتيار الإسلامي التقليدي، ونشطوا في تدريس العلوم الشرعية وفق المنهج الأزهري في أوساط الشباب، فأقبلت عليهم قطاعات من أولئك الشباب الراغبين في التعرف إلى الدين، دون اللجوء للانخراط في التنظيمات الإسلامية أو متابعة الدعاة الجدد، وتُعتبر مدرسة شيخ العمود أولى فعاليات «المعلمين الجدد»، التي انبثقت عنها فعاليات أخرى جماعية وفردية، تتبنى الأهداف ذاتها، وتُحدث نفس التأثيرات في المجال الديني، وفي أنماط التدين.

وكما يُعتبر عمرو خالد هو أول «الدعاة الجدد» في مصر[26]، فإن أنس السلطان يُمكن اعتباره أول أولئك «المعلمين الجدد»، وقد تناولت الدراسة آنفًا جانبًا من أنشطته ومواقفه؛ باعتباره مؤسس مدرسة شيخ العمود، وهو تاريخ يؤكد وجوده المُكثف في أوساط فئات مختلفة من الشباب والنشطاء السياسيين والمجتمعيين؛ ومما يؤكد ذلك أيضًا حضوره المُكثف على مواقع التواصل الاجتماعي؛ حيث يمتلك 422,436 متابع على صفحته الشخصية بموقع «فيس بوك»[27]؛ الأمر الذي يُمكّنه من موازنة حضور «الدعاة الجدد» على شاشات الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي كذلك.

ومع ذلك، فإن أنس السلطان نفسه يتشكك في قدرة الأزهريين على القيام بدور الرموز في المجال العام كبدلاء عن الدعاة الجدد أو قيادات العمل الإسلامي؛ فهو يرى أن «**الأزهريين لا يمتلكون الإمكانات التي**

25 للمزيد: باتريك هايني: إسلام السوق، عومرية سلطاني (مترجم)، القاهرة، مدارات للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية 2016

26 المرجع السابق، ص 76

27 جميع الأرقام الخاصة بأعداد متابعي «المعلمون الجدد» على مواقع التواصل الاجتماعي موقوفة على تاريخ 18 ديسمبر 2018، وهي بالتأكيد مرشحة للتزايد أو النقصان فيما بعد.

تؤهلهم لأي من الدورين؛ فلا هم نجومًا إعلاميين ولا قيادات شعبية في الشارع، الأزهري واعظ تقليدي يخطب الجمعة ويُجيب عن أسئلة الناس، ويقوم بإشهار عقود الزواج، وغير ذلك .. الجديد في الوقت الحالي أنهم يقومون بالتدريس خارج المعاهد والكليات الأزهرية، وينتشرون من أجل التدريس للشباب في الجامعات المختلفة، سواء في نموذج شيخ العمود، أو غيره من النماذج، وهذه حالة جديدة وهي لا زالت حالة تعليمية ليست حالة اجتماعية أو حالة قيادة، ولكن هل يظهر من هؤلاء العلماء من يقوم بدور حقيقي فعّال في المجال العام؟ فهو أمر قد يقع وقد لا يقع، ولكن أن يتحول علماء الأزهر إلى القيام بالدور الاجتماعي الشعبي لقيادات العمل الإسلامي، أو الدور الإعلامي للدعاة الجدد أظن أن ذلك أمر صعب جدًا».[28]

يُفهم من هذا الحديث اختلاف أنماط نشاط «المعلمين الجدد» عن أسلوب الدعوة «التسويقية» التي تعمل وفق منطق السوق لدى الدعاة الجدد؛ فيكون رموزها نجومًا إعلاميين يتنافسون في سوق الفضائيات، ويسعون لتقديم صور جذابة ملفتة؛ لحصد المزيد من نسب المشاهدة، كما تختلف أنشطة المعلمين الجدد أيضًا عن الأدوار الشعبوية التعبوية التي لعبتها قيادات الحركات الإسلامية في المجال العام؛ استنادًا إلى المفاهيم الأيديولوجية الصلبة؛ كمفهوم الجهاد ومفهوم الخلافة، بينما يقوم «المعلمون الجدد» بتدريس التراث الإسلامي، ونقل معارفه وفلسفاته ومفاهيمه في سياق تعليمي، وليس سياق دعوي إعلامي، ولا سياق سياسي تعبوي.

وكذلك من أبرز هؤلاء «المعلمين الجدد» الذين شقوا طريقهم داخل الأوساط الشبابية من خلال مدرسة شيخ العمود الشيخ «**أحمد الدمنهوري**»، الحاصل على الدكتوراه من قسم التفسير بكلية أصول الدين، وهو «شافعي المذهب فقهيًا، درس العقيدة على المذهب الحنفي الاعتقادي الذي يُسمى الماتريدي»[29]، شديد التحمس للمنهج الأزهري، حاد النقد للتيار السلفي «المُعاصر»، شديد التأييد للتصوف، وكثير الدعوة لإحياء دوره في المجتمع، مُعتقدًا أن في عودته حلًا للكثير من أزماته وإشكالاته، وقد تكونت لدى الباحث هذه الرؤية من خلال متابعة كتاباته على صفحته الشخصية بموقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»، التي تضم 22,299 متابعًا، كما صرح هو بذلك أيضًا في بعض الحوارات الصحفية حول التصوف وحضوره المتزايد في المجال الديني.

حيث يقول عن الأزهر: «**إن غياب رجال الأزهر، وزعزعة ثقة الناس فيهم، والاستهزاء بهم في الأعمال الفنية المختلفة على مدار عقود خلقت أجيالًا من الناس مشوهة ومشوشة مترددة حائرة .. ووالله لو عاد الأزهر بنصف قوته لا كلها، ولو ترك له المجال العام كما يترك لأنصاف المثقفين والمتعالمين،**

28 من حوار مع الشيخ أنس السلطان، مؤسس مدرسة شيخ العمود من خلال مراسلات صوتية عبر تطبيق «الواتس آب» خلال شهر نوفمبر 2018

29 حوار مع الشيخ أحمد الدمنهوري من خلال مراسلات كتابية عبر موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، خلال شهر شهر يناير 2020

ولو عادت إليه أوقافه ليستقل، ولو عمل أبناؤه بنصف قوتهم لا كلها؛ لسمعتم عجبًا ولرأيتم نماذج من أهل العلم لم تر الدنيا مثلهم، ولرأيتم نماذج من الأخلاق لم يسمع الناس بها ولا تصوروا وجودها، ونماذج من المناهج العلمية الرصينة التي تكاد تُنسى في زخم الرغبات والشهوات، ولرأيتم كيف يكون العلم وكيف يكون العلماء .. ولرأيتم أن غالب ما يتباهى به علماء الدنيا إنما هو ظلال معقول غير مكتمل، أو جنين أفكار مبتورة، أو زيف يسمى علمًا، لا سيما في العلوم الإنسانية بشعبها!»[30]، ويقول عن التصوف: **«الكثير من الشباب، والإسلاميون منهم خاصة حُجبوا عن واحة التصوف؛ إما بحكم النشأة المعادية، أو بحكم الواقع المزري، أو بحكم غلبة النفس على صاحبها وإن كان متدينا في الظاهر .. التصوف تحقق بالدين، وبدونه يتحول الإسلام إلى أيديولوجيا ينتصر لها بكل طريق، فيظهر الغر الصبي لينتصر لدين الله بالسب والشتم، أو بالوقاحة والشماتة، بل ربما يحب أن يقع غريمه في معصية؛ ليكسب معركة نفسه، وليؤكد لشيطانه أنه على حق!»**[31].

ويلاحظ الدمنهوري أن جيل الألفية بات أكثر روحانية، كرد فعل على انتشار الوهابية والسلفية خلال العقود الماضية، فيقول: **«إنهم ببساطة يعودون إلى جوهر الدين؛ لأنهم وجدوا أن جل الآراء الدينية التي يتم الترويج لها لا تملأ الفراغ الموجود في قلوبهم .. والتصوف ليس شيئًا جديدًا على الإسلام؛ فقد كان أبرز علماء المسلمين دائمًا من المتصوفة، وتاريخيًا كانت الصوفية تحتل مكانة لا يمكن إنكارها، إلى أن أصبحت تعاليم الوهابية أكثر انتشارًا، ودانت (ممارسات صوفية من قبيل) زيارة مقام سيدنا الحسين، وما إلى ذلك باعتبارها ممارسات كفرية»**، ويضيف: **«أعتقد أن الشباب اليوم ينخرط في التصوف بشكل أكثر وعيًا؛ ففي الماضي قبل سقوط الإمبراطورية العثمانية، ربما كان الاعتياد على الممارسات الصوفية نابعًا من أن ذلك هو القاعدة والتقليد في ذلك الوقت. لكن اليوم لا يوجد شاب صوفي لم يتعرض لأفكار لا تُعد ولا تُحصى قبل أن يجد السلام في التصوف فقط»**[32].

وقد مارس الدمنهوري التدريس بمدرسة شيخ العمود لفترة، ثم تولى رئاسة هيئة تعليمية يُشرف عليها قطاع الدعوة بالأزهر؛ تسمى بـ «أكاديمية الطبري لتفسير القرآن الكريم»، قبل أن تثور حوله الكثير من المشكلات؛ نتيجة اتهام البعض له بأنه من غلاة الصوفية؛ بسبب علاقاته بشيخ مغربي يُدعى «عبد الغني العمري»، الذي يتبنى آراء عقائدية شاذة وفق رؤية البعض، وقيامه بالترويج لذلك الشيخ وأفكاره في أوساط

30 من منشور للشيخ أحمد الدمنهوري على صفحته الشخصية بموقع فيس بوك بتاريخ 17 ديسمبر 2017

31 منشور للشيخ أحمد الدمنهوري على صفحته الشخصية بموقع فيس بوك بتاريخ 11 ديسمبر 2018

32 بعد هزيمة الإخوان... هل يكون التصوف هو الملاذ الأخير للشباب المصري، محمد الدخاخني (مترجم)، حفريات، 12 أغسطس 2018. https:// www.hafryat.com/en/node/4670

الشباب المُقبلين على التصوف والتدين الأزهري[33]؛ ونتيجة الضغوط انقطعت علاقة الشيخ الدمنهوري بأكاديمية الطبري؛ ليؤسس كيانًا جديدًا سمّاه «أكاديمية وحي»، وهو يتقارب بصورة كبيرة مع أهداف ومنهجيات مدرسة الشيخ العمود، مع مزيد من التأكيد على أهمية إحياء المنهج الأزهري -والتصوف في القلب منه- ودور ذلك في إحداث تحولات إصلاحية على المستوى المجتمعي، كما تركز هذه الأكاديمية على الدراسات الشرعية، دون غيرها من الدراسات الاجتماعية التي تهتم بها مدرسة شيخ العمود.

وقد تحولت أكاديمية وحي إلى منصة للتعليم الإلكتروني، بعد إغلاق مقرها في القاهرة؛ نتيجة سفر الشيخ الدمنهوري إلى تركيا لحضور مؤتمر علمي، وقراره بعدم العودة مجددًا بعد نصائح من الأهل والأصدقاء بعدم العودة بسبب خوفه من الاعتقال مجددًا –خاصة وأنه اعتُقل بالفعل من قبل- نظرًا للعلاقات المتوترة بين مصر وتركيا[34]، وربما يؤكد ذلك التقارب في الرؤى والأفكار الذي يجمع الرجل بالتيارات الإسلامية التي تقف موقف المعارضة من النظام الحاكم، وبالتالي اكتسابه لقدر مناسب من ثقة شباب التيارات الإسلامية، كما هو حال مشايخ مدرسة شيخ العمود[35].

ومن أهم نماذج «المعلمين الجدد» أيضًا الشيخ الأزهري الشاب «**علاء عبد الحميد**»، الذي هو من أهم أسباب ظاهرة إقبال طلاب الجامعات المدنية على منافذ التعليم الأزهري التقليدية، مثل مضيفة الشيخ إسماعيل صادق العدوي؛ حيث يقوم بتدريس العلوم الشرعية والكتب التراثية في هذه المضيفة؛ فيقول عن

---

33 إلحادٌ ورقاعة برعاية شيخين من شيوخ الازهر، الموقع الرسمي لجبهة علماء الأزهر، 21 ديسمبر 2018. https://goo.gl/kF5peB. وجبهة علماء الأزهر هي جبهة مستقلة، مكونة من عدد من علماء الأزهر الذين يتبنون آراء سياسية واجتماعية معارضة لتوجهات الدولة وتوجهات المؤسسة الأزهرية الرسمية في الكثير من الجوانب، وهي جبهة قديمة، تأسست منذ الأربعينيات من القرن العشرين، إلا أنها ضمرت وضعف شأنها، وقامت الدولة بحلها رسميًا، وانحصر نشاطها في مجرد موقع على الإنترنت، ينشر بيانات الجبهة، ومقالات لأعضائها والمقربين منها.

34 حوار حوار مع الشيخ أحمد الدمنهوري من خلال مراسلات كتابية عبر موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، خلال شهر يناير 2020

35 جدير بالذكر في هذا المقام أن مواقف شيخ الأزهر من قضية تجديد الخطاب الديني، وظهوره بمظهر المتحفظ على سياسات الرئيس المصري وتوجيهاته بهذا الخصوص في أكثر من مناسبة قد دفع كلًا من أنس السلطان وأحمد الدمنهوري إلى الإعلان الصريح عن تأييدهما للمؤسسة الأزهرية الرسمية وشيخها عبر حساباتهما على موقع فيس بوك، وذلك على الرغم من الخلاف الواضح لكليهما مع المؤسسة الأزهرية الرسمية، من حيث مواقفها السياسية في مرحلة ما بين الخامس والعشرين من يناير 2011 والثلاثين من يونيو 2013

فقد أشارت الدراسة من قبل إلى تدوينات أنس السلطان، التي استنكر فيها سماح الأزهر بسقوط تيارات الإسلام السياسي، ووقوفه موقفًا سلبيًا تجاه الهجوم عليها في مرحلة ما بعد يناير 2011، كذلك كان أنس السلطان قد كتب مقالًا في أثناء اشتعال جذوة الصراع بين الإسلاميين والدولة في مصر بعد أحداث الثلاثين من يونيو 2013، ينتقد فيه ضمنيًا موقف المؤسسة الأزهرية الرسمية، ويفرق بين الأزهر الرسمي والأزهر الشعبي كما سماه، واستشهد فيه بمواقف مشايخ الأزهر في عصور ما قبل الدولة الحديثة، والتي التحموا فيها بالجماهير الثائرة ضد السلطات الظالمة، وهو تصور تقليدي تتبناه التيارات الإسلامية، ويعتبر تصورًا سطحيًا لطبيعة دور علماء الأزهر في مجتمع ما قبل الدولة الحديثة، وحقيقة موقعهم على محور علاقات المجتمع والدولة، كما أوضحت الدراسة في الفصل السابق، وقد قام الشيخ أسامة الأزهري المحسوب على التيار الأزهري الرسمي المقرب من الدولة بالرد على أنس السلطان، ينتقد فيه هذا التصور غير المتناسب -من وجهة نظره- مع طبيعة الدولة الحديثة، التي تقوم على نظام المؤسسات الحديثة التي تتولى الرقابة على الدولة ومحاسبة المسئولين، والتي لم يعد في ظل وجودها مبرر لاستمرار الدور الرقابي لعلماء الأزهر على المسئولين، ولم يجد الباحث نسخة منشورة لهذه المقالات على أية مواقع إلكترونية سوى في صفحة الشيخ أسامة الأزهري على موقع فيس بوك في صورة مقال لأنس السلطان والرد عليه من قبل أسامة الأزهري.

أما عن الشيخ أحمد الدمنهوري فقد نشر مقالًا في شهر يونيو عام 2013 في ظل اشتعال الاستقطاب الإسلامي العلماني في مصر قبل أحداث الثلاثين من يونيو، استنكر فيه موقف علماء الأزهر المتقارب مع مواقف التيارات العلمانية، واصفًا هؤلاء العلماء بـ «المخدوعين» من قبل العلمانيين، الذين أقنعوهم بأنهم العلماء المستنيرون الأكثر أحقية بتصدر المشهد الديني والسياسي من تيارات الإسلام السياسي المتطرفة؛ ومن ثم نجحوا في استقطابهم إلى المواقف السياسية للتيارات العلمانية، وقد وصف ذلك بأن «هؤلاء العلمانيون ركلوا المشايخ بأرجلهم قديمًا، ثم ركبوهم حديثًا». انظر: أحمد سعد الدمنهوري: ظاهرة جنود الله في المعركة الخطأ، 25 يونيو 2013. https://goo.gl/QaP6YQ

نفسه: «**دروسي تخاطب -بشكل أساسي- المصريين غير المتفرغين لطلب العلم الشرعي، وتهدف لتأسيس عقلية منهجية علمية لفهم التراث وعلومه الأساسية. بالنسبة لطلبة العلم فقد يجدون فائدة في الدرس، فأهلًا وسهلًا بهم، وربما لا يستفيدون بسبب حرصي على تبسيط الدرس للمصريين باللغة العامية، لعلمي أن هذا الجانب لا يكاد يقوم به أحد من المشايخ، في حين يوجد عدد آخر من الشيوخ الفضلاء يشرحون العلوم الشرعية باللغة العربية الفصحى، وبالطريقة الأزهرية الهادئة، سواء في المضيفة أو في المسجد الأزهر**»[36]. ومن الملفت للنظر أيضًا تدريسه لكتاب مقدمة ابن خلدون؛ الأمر الذي يعكس اهتمامه بالبعد السياسي والاجتماعي والحضاري في التكوين العلمي لطلابه، دون الاكتفاء بالدراسات الدينية فقط.

ويُعد علاء عبد الحميد من أبرز مشايخ مدرسة شيخ العمود؛ حيث تعرّف طلاب المدرسة من خلالها عليه، وأحب الكثيرون منهم طريقته في التدريس، فانتقلوا معه للدراسة بمضيفة الشيخ إسماعيل العدوي، ثم ذاع صيته بصورة كبيرة في أوساط الشباب المهتمين بطلب العلم الشرعي، حتى باتت دروسه تشهد إقبالًا كبيرًا من الفئات الشابة أصحاب التعليم المدني غير الأزهري[37]، كما أن صفحته على موقع فيس بوك تضم 115,652 متابعًا، يهتم من خلالها بنشر خواطر فكرية واجتماعية وعلمية، تلقى رواجًا كبيرًا على مواقع التواصل الاجتماعي، إلا أنه يتجنب -بصورة واضحة- إظهار مواقف سياسية معينة، أو الخوض في قضايا خلافية دينية أو اجتماعية.

وينتقد الشيخ علاء عبد الحميد أسلوب الدعاة الجدد والتنمية البشرية؛ وذلك لتمحور هذا الأسلوب حول الإنسان وقدرته، والإيهام بأن الإنسان قادر على إسعاد نفسه، وأن له استحقاقًا ما في هذه الحياة؛ بينما الرؤية الإسلامية تؤكد على أن الأمر كله بيد الله، وعلى ضعف الإنسان، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله[38].

لكنه أيضًا ينتقد موجة الإقبال على دراسة العلوم الشرعية وفق المنهج الأزهري القائمة خلال فترة الدراسة، مُعتبرًا إياها «موضة» لن تستمر طويلًا، ولن تُسفر عن أي تجديد حقيقي في فكر الأمة وعلومها، بينما يؤكد أن دروس العلم الشرعي التي يقدمها وفق المنهجية التراثية لا تهدف لمجرد نقل التقليد المذهبي التراثي؛ وإنما تهدف إلى تعلم منهجية علماء المسلمين في مواجهة التحديات الفكرية التي واجهتهم في

36 من منشور للشيخ علاء عبد الحميد بمجموعة مغلقة خاصة بطلابه ودروسه على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك بتاريخ 5 أبريل 2019.

37 وقد توصل الباحث لهذه المعلومات جراء المعايشة المباشرة لدروس الشيخ بمضيفة العدوي.

38 تحدث عن هذه الفكرة في درسه لشرح ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين بتاريخ 13 يوليو 2019؛ إذ يقول: «المشكلة في الحياة إن في معاني اتغذت بيها النفوس خلال السنين اللي فاتت .. معاني بقى تنمية بشرية على دعوة ماركتنج إسلامي على دعاة جدد على مفاهيم كلها بتمحور الكون حول الإنسان، وده الوهم اللي كان بيتباع، ومش البديل الإحباط .. عمر ما كان لا حول ولا قوة إلا بالله انكسار إلا لله .. في حقائق كونية ثابتة إن المشترى أكبر من الأرض وإن الشمس نجم ووو.. وإنك إنت ضعيف ولا حول لك ولا قوة على شيء إلا بالله، وبالتالي عايز حاجة عندك طريقين مع بعض: إنك بتسلكها بأسبابها.. والتاني إنك بتقول يا رب حقق مرادي وارضيني بيه.. دي المعادلة اللي دايما الإنسان بيمشي بيها .. المزروع جوانا طول السنين اللي فاتت دي إنك إنت ند لله .. إنك ليك حق في هذا الوجود، وإن ليك استحقاق عند الله وليك مكانة عند الله، وابتسم فإن الله يحبك، وعمالين نوزع كأننا بنوزع مناديل في إشارة رابعة .. إنت جيبت العلاقات دي كلها مع الله منين .. منين إن هو راضي عنك ولا غضبان عليك، منين إن هو بيحبك ولا بيكرهك..». إحياء علوم الدين، ربع المنجيات، دروس الشيخ علاء عبد الحميد، موقع ساوند كلاود. https://soundcloud.com/search?q=ربع%20المنجيات%2058%20علاء%20عبد الحميد

عصورهم؛ بهدف البناء عليها في النظر لتحديات العصر؛ وذلك لأن العلوم التراثية بحد ذاتها ميتة، ولم تعد مشتبكة مع قضاياها الواقعية، ويقرأ ذلك في سياق حركة العلوم الإسلامية منذ عصور الحضارة الإسلامية؛ فيقرر أن العلوم والمعارف تنشأ وتزدهر في أوقات الأزمات الفكرية، وتصاعد الفلسفات المختلفة التي تشحذ الهمم لمدارستها والرد عليها؛ فلولا المعتزلة ما ظهر الأشاعرة، ولولا الشيعة ما ظهر المُحدّثون؛ بينما بعد هدوء الأزمات الفكرية واستقرار العلوم، تدخل الأمة في مرحلة التقليد، وتدخل هذه المعارف في مراحل الأفول، والتراخي عن متابعة التطورات الفكرية والفلسفية والتفاعل معها، وكان هذا حال الأمة وقت ظهور الشيخ محمد عبده، فكان المشايخ على حالهم من الجمود والتقليد، ومدارسة ما كتبه الأقدمون، دون الاطلاع على الفلسفات الحديثة الصاعدة، بينما اطلع عبده على الفلسفات الأجنبية، وتيقن بوجود مشكلات عميقة في العلوم الإسلامية؛ بسبب عدم مسايرتها للواقع الفكري والفلسفي القائم، فتخلى عن المدرسة التقليدية التراثية، واتخذ منهجًا بعيدًا عن التراث؛ ليتولى مهمة التجاوب مع هذه الفلسفات الحديثة، وتجديد الفكر الإسلامي، بما يُمكّنه من التعاطي معها، واتسعت «كرة الثلج» –بحسب تعبيره- من بعد محمد عبده على يد تلاميذه، الذين حاولوا تجديد الفكر الإسلامي، ولكن بصور غير مُحكمة -في رأي الشيخ علاء- وأنتج ذلك مختلف التيارات الإسلامية التي تذرّعت بالمقاصدية وبمدرسة الشيخ محمد عبده، وتجاهلت المذاهب الفقهية التقليدية، وادعت معالجة مشاكل التراث؛ ولكن بعد فشل التيارات الإسلامية عقب ثورات الربيع العربي، ثبت خواء هذه التيارات، وعدم امتلاكها لأي فكر تجديدي حقيقي، فبدأت موجة العودة للمنهجية التراثية مجددًا؛ لكن هذه الموجة -في رأيه- لن تُسفر عن أي أثر إيجابي على الصعيد العلمي؛ لأن هذه العلوم التراثية باتت فاقدة لمقاصدها، وباتت غير متفاعلة مع الواقع الفكري والتحديات الفلسفية القائمة، وبالتالي لن تستمر هذه الموجة سوى بضع سنوات، قبل أن يعود مجددًا الحديث عن المقاصد وغيرها، وستظل الأمة تدور في دائرة مغلقة ما دامت العلوم الإسلامية غير معروفة وظائفها ومقاصدها، وغير مشتبكة مع الواقع الفكري والفلسفي[39].

ومن خلال استعراض بعض مؤشرات ونماذج ما سمته الدراسة ظاهرة «المعلمين الجدد»، يمكن القول إن تزايد حضور هؤلاء المعلمين في المجال العام، وتزايد ثقة الشباب والنشطاء المجتمعيين بهم، من شأنه تعزيز الحضور الأزهري في الفضاء العام، واستعادة المنهج الأزهري لتأثيره الكبير في أوساط الفئات

39 استعرض الشيخ علاء هذه الأفكار خلال أحد دروس شرح كتاب «المنقذ من الضلال» لأبي حامد الغزالي بتاريخ 13 يوليو 2019؛ في معرض تبريره لأهمية دراسة هذه الكتاب وأغراضه من تدريسه، ومما قاله في هذه المناسبة بالنص الأصلي: «بعد الثورة الكل وقع على أم رأسه، وطلع كله معندوش حاجة .. يلا يا جماعة نرجع بقى للمذهبية، فاحنا بنلف في دايرة مغلقة، طيب أنت لما هربت من المذهبية هربت منها ليه أصلا؟ .. علشان كان عندك مشاكل؟ .. طب انت عالجتها؟ لا انت معالجتهاش، انت روحت سيبتها .. فلما سيبتها المشاكل كبرت عليك وابتلعتك ومقدرتش عليها، تروح راجعلها تاني بنفس شكلها، بس الدورة المرادي هتبقى أكثر اختصارًا .. علشان إحنا في عصر السرعة؛ أربع أو خمس سنين هتلاقي المذهبية هتختفي وفكرة مقاصد الدين ترجع تاني .. هي بندول رايحيين جايين لأننا مبنحطش إيدينا على الأزمة الحقيقية.. فين الأزمة الحقيقية؟ .. إن العلوم ميتة .. طيب ليه العلوم ماتت .. هو ده اللي بنقرأ علشانه «المنقذ من الضلال» العلوم ماتت لأنها لم تعد تشتبك مع قضاياها، فلما لم تعد تشتبك مع قضاياها مات فيها النظر والبحث والتجديد .. ومبقيناش عارفين هي بتعمل إيه أصلا .. الإمام الغزالي هنا بيعلمنا نطلب مقصد كل علم بذاته، فبدأ يشوف هل هي منتجة لمقاصده ولا لأ.. فوظيفة الكتاب أو أحد وظائفه هو التعرف إلى هذه الرحلة الفكرية اللي بتعرفك على مشاكلنا إحنا كمسلمين عبر التراث، فهي رحلة للإمام الغزالي ورحلة لينا إحنا كمان؛ علشان نحط إيدنا على موضع المشكلة». المنقذ من الضلال: القول في أصناف الطالبين، دروس الشيخ علاء عبد الحميد، موقع ساوند كلاود. https://soundcloud.com/doros-sheikh-alaa/sets/2ic3psiszbr9

المتدينة التي يمارس بعضها نشاطًا سياسيًا؛ ومن ثم تكون المرجعية الدينية الأولى لهؤلاء النشطاء السياسيين -الذين قد يشهد المستقبل تأسيسهم وقيادتهم لأحزاب سياسية جديدة- هي الأزهر والمنهج الأزهري، وليست أنماط تدين وتفسيرات دينية أخرى، خاصة تلك التفسيرات السلفية المُعاصرة التي كانت قد هيمنت على الحركات الإسلامية المختلفة، وخاصة جماعة الإخوان المسلمين، وقد ينعكس ذلك في طبيعة سلوكهم السياسي والاجتماعي، مقارنة بالسلوك ذاته لدى الحركة الإسلامية التقليدية، خاصة فيما يتعلق بالإقرار بالتمييز بين العمل الدعوي والتعليمي -الذي يُترك لعلماء الأزهر- وبين العمل السياسي الذي يقوم عليه المختصون والمؤهلون والحاملون للقيم الإسلامية في الوقت ذاته، من الذين تتلمذوا في هذه المدارس الأزهرية الحرة، كما يمكن القول إن الحركات والتنظيمات الإسلامية التقليدية ذاتها -إذا كُتب لها الاستمرار والعودة من جديد- ستتميز بزيادة الحضور الأزهري بداخلها، في مقابل تآكل الحضور السلفي، وهو حضور سيستلهم المفاهيم الصلبة للتراث الإسلامي، وهي تختلف عن المفاهيم الصلبة للتنظيات الأيديولوجية، وتختلف كذلك عن السيولة القيمية والمفاهيمية في أفكار ومنهجيات الدعاة الجدد، وربما يكون موضع التوسع في المقارنة بين هذه الأفكار والمفاهيم الصلبة والسائلة دراسة أخرى منفصلة.

المبحث الثاني: توسعات الرواق الأزهري.. المسار التعليمي الحر للأزهر الرسمي

تتجه الدولة المصرية في مراحل تاريخية معينة لتعزيز الدور الدعوي والتعليمي للأزهر وعلمائه، خاصة في حالات الصراع الكبير مع الجماعات الإسلامية، وقد وقع ذلك في العهد الناصري حين تم إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية عام 1954م؛ بهدف نشر الفكر الإسلامي «الوسطي»، ودعمته الدولة الناصرية ماديًا بصورة كبيرة، ويقوم المعهد بتدريس مجموعة مختلفة من المواد الشرعية والاجتماعية والقانونية، ويعتمد على المنهج الأزهري في المواد الشرعية تحديدًا، ويقوم كبار علماء الأزهر بالتدريس فيه[40].

ويختلف المعهد عن المدارس الأزهرية الحرة، بتحوله لجهاز حكومي بيروقراطي، يحتفظ بقدرته على منح الشهادات والدرجات العلمية، أكثر من قدرته على تقديم محتوى تعليمي وتربوي مؤثر في شخصيات طلابه وسلوكياتهم الاجتماعية والسياسية، وهو ما يظهر فيما يُقدمه من دراسات، كما يبدو في اتجاهات طلاب العلم في المعهد[41].

40 انظر التعريف بالمعهد على موقعه الرسمي على الرابط: http://www.iiss-egypt.org/Page30.htm

41 انخرط الباحث في الدراسة بمرحلة الدبلوم بالمعهد، وتوصل جراء معايشته للطلاب ولبيئة الدراسة بالمعهد لهذه الملاحظات.

وفي عام 2008، أصدر رئيس جامعة الأزهر آنذاك الدكتور أحمد الطيب قرارًا بفتح أبواب كلياتها الشرعية أمام خريجي الجامعات المدنية للدراسة فيها[42]؛ ربما في محاولة أزهرية لمزاحمة نفوذ التيارات الإسلامية الأخرى في المجال الديني، من خلال جذب الفئات الشابة المثقفة والمتدينة إلى ساحات التعليم الأزهري.

وقد تم لاحقًا وقف العمل بهذا النظام، وقصر الكليات الأزهرية على طلاب الأزهر دون غيرهم، وكان السبب في ذلك -وفقًا لما يتردد كثيرًا في الأوساط الأزهرية- اكتشاف التحاق بعض المنتمين للتيارات الإسلامية -والسلفية منها تحديدًا- بجامعة الأزهر؛ بهدف اختراق الأزهر، وتغيير منهجه ليتوافق مع المنهجية السلفية «المُعاصرة»[43]، ولعل من شواهد ذلك بالفعل وجود عدد من رموز التيار السلفي المُعاصر في مصر حصلوا على درجات الليسانس والماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر بعد تخرجهم من الجامعات المدنية، ومن أشهر هؤلاء الدكتور محمد يسري إبراهيم، الذي كان مرشحًا للتعيين وزيرًا للأوقاف إبان حكم الرئيس الإسلامي محمد مرسي[44].

وخلافًا لهذا التوسع في التعليم الأزهري -القاصر على توسعات التعليم «النظامي» في صورته الحديثة- طالب كثير من العلماء الأزاهرة، المعارضين لهيمنة الدولة على التعليم الأزهري، والمدافعين عن استقلال الأزهر عن الدولة، بعودة «التعليم الأزهري الحر» في صورته القديمة، التي تتمثل في المشايخ المستندين إلى أعمدتهم، والذين ينتشرون في أروقة الجامع الأزهر وغيره من الجوامع لتعليم الناس علوم الدين، دون التقيد بالنظام المدرسي والجامعي الحديث، وكانت هذه الدعوات تتزايد، خاصة في أوقات تصاعد الحديث داخل أروقة السلطة عن إعادة تنظيم الأزهر وإصلاح التعليم الأزهري و«تحديثه»، كما حدث إبان مناقشة البرلمان عام 1987م مشروع إصلاح للأزهر، يهدف إلى جعل نظام التعليم العالي فيه مماثلا لنظام الجامعات الحديثة؛ حيث أعلنت مجموعة من علماء الأزهر المستقلين إنشاء معهد للدراسات الإسلامية الحرة، تُعقد حلقاته بالجامع الأزهر نفسه، ويستقبل طلابًا من المصريين والأجانب، دون اشتراط أن يكون هؤلاء الطلاب من المنتمين للأزهر، وقد اعترضت المؤسسة الأزهرية الرسمية على هذا النشاط وأوقفته؛ رفضًا لإنشاء جامعة أزهرية أهلية موازية للجامعة الأزهرية الرسمية[45].

---

42 قبول الحاصلين علي مؤهلات عليا بالكليات «الشرعية» للأزهر، المصري اليوم، 1 يوليو 2008. http://cutt.us/MqWNI

43 يثور ذلك كثيرًا في مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة في الاتهامات المتبادلة بين السلفيين من جهة والأزاهرة و«المرتدين» عن السلفية المعاصرة من جهة أخرى، وفي إحدى المحاضرات التي حضرتها بروّاق العلوم الشرعية والعربية بكلية أصول الدين للدكتور عبد الفتاح العواري عميد كلية أصول الدين، تحدث الدكتور عن هذه المرحلة، وبرر قرار الإغلاق بنية بعض الطلاب الملتحقين بالدراسة وفق هذا النظام اختراق الأزهر عن طريق المطالبة بتعيينهم في السلك الأكاديمي، بعد استغلالهم للفارق العقلي بحكم فارق السن بينهم -كخريجي جامعات- وبين زملائهم من الطلاب الأصليين حديثي العهد بالمدارس الثانوية؛ وذلك لتحقيق مآرب أخرى خاصة بهم غير الأهداف العلمية.

44 عمرو عزت: لمن المنابر اليوم؟، مرجع سابق، ص 40، 41

45 مليكة الزغل: حراس الإسلام...، مرجع سابق، ص 360:364

وكان مفتي الجمهورية السابق الشيخ علي جمعة قد بدأ منذ أواخر التسعينيات –قبل تعيينه مفتيًا في العام 2003- بتنظيم دروس مجانية وغير رسمية لطلاب العلوم الشرعية سواء من طلاب الأزهر أو غيرهم من غير المتخصصين في العلوم الشرعية؛ ونجح في تكوين شبكة من العلماء المرتبطين به مثل عمرو الورداني أمين الفتوى بدار الإفتاء، وأسامة الأزهري مستشار رئيس الجمهورية للشئون الدينية حتى وقت كتابة الدراسة، وفي هذه الدروس تم تقديم التقليد الأزهري في تلقي العلوم الشرعية المعتمد على المذهبية الفقهية والتصوف كضامن أساسي للاعتدال في مواجهة الآراء الأحادية المتطرفة للتفسيرات السلفية والاتجاهات الدينية لتيارات الإسلام السياسي؛ وقد طرحت مجموعة الشيخ علي جمعة فكرة إنشاء مسار تعليمي حر تابع للمؤسسة الأزهرية الرسمية ولكنه يقع خارج نطاق التعليم الأزهري النظامي نفسه، وهو المشروع الذي التقطته المؤسسة الأزهرية بالفعل وتم تنفيذه تحت إشراف شيخ الأزهر أحمد الطيب وبعيدًا عن تأثير علي جمعة وشبكته[46].

هذا المشروع الذي تم اختيار مصطلح «الرواق» كعنوان له، هو محل اهتمام هذا المطلب؛ حيث تناقشه الدراسة في ضوء التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها فترة الدراسة؛ شهد فيها المجال الديني حالتين لا تجتمعان غالبًا في وقت واحد، وهما دخول التيار الإسلامي في صراع دام مع السلطة السياسية، ووجود توتر ظاهر في العلاقة بين السلطة والأزهر، وتبني السلطات لتفسيرات دينية ورؤى لدور المؤسسة الأزهرية، تختلف -بشكل أو بآخر- عن رؤى القيادة الأزهرية الرسمية.

أولًا- ازدهار النشاط التعليمي بالجامع الأزهر

بدأ التوجه الأزهري لزيادة النشاط التعليمي الحر تحديدًا منذ العام 2014، بعد استرداد مشيخة الأزهر الإشراف على الجامع الأزهر من وزارة الأوقاف، وقد نتج عن هذا الاسترداد طفرة كبيرة في أنشطة الجامع الأزهر، وخاصة الأنشطة التعليمية[47]؛ فقد عُقد أول اجتماع لمجلس إدارة الجامع الأزهر برئاسة وكيل الأزهر -في ذلك الوقت- عباس شومان؛ للتشاور في البدء بتنفيذ الخطة الدعوية والتعليمية التي وضعتها مشيخة الأزهر، والتي تهدف لاستعادة الإشعاع العلمي للجامع الأزهر، ونشر الفهم الأزهري «الوسطي» للإسلام، إلى جانب مناقشة قضية ترميم الجامع الأزهر، وتجهيزه للقيام بدوره العلمي والدعوي الجديد؛

46 عمرو عبد الرحمن، نهاية الإحيائية الإسلامية.. التعليم الديني المستقل بعد 2011: الخصائص والتناقضات ومسارات المستقبل، مرجع سابق، ص8. https://bit.ly/36XkYpY

47 الرواق الأزهري: تقرير 1438هـ / 2017م، ص 126.
حصلت على هذا التقرير بشكل مباشر من الجامع الأزهر بصفتي البحثية؛ حيث إنه لا يُعرض للبيع وغير متاح على شبكة الإنترنت؛ ولذلك فالمعلومات الواردة فيه تُعد من المصادر الأولية للدراسة.

وذلك بدعم مالي من المملكة العربية السعودية[48]، وهي الترميمات التي تم الانتهاء منها في العام 2018م؛ حيث قام ولي العهد السعودي أثناء زيارته إلى مصر بافتتاح الجامع الأزهر بعد ترميمه[49].

يتبين من ذلك أن تقوية الأزهر ودعمه في ذلك التوقيت تحديدًا ربما كان أمرًا مقصودًا ومرغوبًا فيه من قِبل السلطات السياسية في مصر وحلفائها في المنطقة، في ظل خوضهم صراع وجودي مع تيارات الإسلام السياسي[50]، خاصة وأن عامي 2014 - 2015م ـ شهدا تحولًا متزايدًا نحو ممارسة العنف من قِبل بعض المنتمين لتيارات الإسلام السياسي، وهي معادلة منطقية ومتكررة تاريخيًا، أن تلجأ السلطات السياسية لدعم الأزهر وتقويته في حالات الصراع السياسي الدامي مع الإسلاميين، إلا أن الهجوم الكبير الذي شنته وسائل إعلام مصرية تابعة للسلطات الحاكمة -في وقت لاحق- والتوترات الظاهرة بين القيادة السياسية من جهة والقيادة الأزهرية من جهة أخرى، تدفع إلى القول إن تلك المعادلة ليست هي التفسير الوحيد لذلك النشاط التعليمي المتزايد للجامع الأزهر في هذه الفترة.

ووفقًا لتوجيهات مباشرة من شيخ الأزهر، بدءًا من عام 2014م[51]، شهد الجامع الأزهر عملية إحياء مُلفتة للنظر لنظام الأروقة التعليمية؛ وذلك بهدف «**استعادة الأزهر لمكانته وإحياءً للمسئولية العلمية والدينية والوطنية والحضارية تجاه الشعب والأمة كلها من خلال أروقة الأزهر**»، وفقًا لتصريحات الدكتور محمد مهنا مستشار شيخ الأزهر، والمشرف العام على الرواق الأزهري[52]، وقد تم تحديد رسالة الأروقة الأزهرية في شكلها الجديد بـ «**أن يكون الرواق ملاذًا آمنًا لطالبي العلوم الشرعية، وملجئًا للحريصين على معرفة أمور حياتهم الدينية والدنيوية**»، إلى جانب «**إعداد جيل من المنتمين للمنهج الأزهري، يُعتمد عليه في نشر المنهج الوسطي في الأمة، وتعميقه في مؤسسات المجتمع التعليمية والإعلامية والدعوية والخدمية**»[53]، وربما يعكس ذلك الرغبة الأزهرية الرسمية في استثمار الفراغات الواسعة التي

48 اجتماع مجلس إدارة الجامع الأزهر ... عودة الدراسة لأروقة المسجد وتشكيل لجنة هندسية لترميم المبني، بوابة الأزهر الإلكترونية، 21 يناير 2014. https://goo.gl/FsdkPv

49 الأمير محمد بن سلمان والرئيس السيسي بالأزهر بعد ترميمه، موقع العربية، 19 جمادى الآخرة 1439هـ / 6 مارس 2018م. متاح على الرابط: https://goo.gl/47nxf9

50 عمرو عزت: لمن المنابر اليوم؟، مرجع سابق، ص ص 60، 61

51 مقابلة موثقة مع الدكتور أيمن الحجار، منسق الشئون العلمية بالجامع الأزهر، بتاريخ 6 نوفمبر 2018، بمكتبه في رواق المغاربة بالجامع الأزهر.

يذكر أن تأكيدنا المتواصل على توجيهات شيخ الأزهر لهذه النشاطات لها دلالة مهمة على ارتباط هذه الأنشطة بشخص الشيخ أحمد الطيب وفكره، وأنها ربما تتوقف في حالة خروج أحمد الطيب من مشيخة الأزهر لأي سبب من الأسباب.

52 أفرع جديدة للرواق .. ودورات تدريبية نهاية الشهر الحالي، جريدة صوت الأزهر، الأربعاء 23 من ربيع الآخر 1439هـ / 10 يناير 2018، ص 2. تم إعفاء مهنا من المنصب لاحقًا وتعيين أ.د عبد المنعم فؤاد بدلًا منه.

يُذكر أنه قد تم تعيين الدكتور عبد المنعم فؤاد في وقت لاحق في منصب المشرف العام على الرواق الأزهري بدلًا من الدكتور محمد مهنا.

53 الرواق الأزهري: تقرير 1438هـ / 2017م، مرجع سابق، ص 11، 13

خلّفها التراجع النسبي للتيارات الإسلامية الأخرى منذ عام 2013؛ لنشر المنهج الأزهري، وإعداد جيل من المنتمين له كمرجعية أولى بديلة من مرجعية التيارات السلفية وتيارات الإسلام السياسي.

ومن أهم مظاهر إحياء أروقة الجامع الأزهر ارتفاع عدد دروس العلم في الجامع الأزهر من اثنين وعشرين درسًا في الأسبوع قبل عام 2014، إلى مئة وعشرين درسًا أسبوعيًا بعد توسعات الرواق الأزهري، مع وجود اهتمام خاص بعملية ترويج هذه الدروس، ودعوة طلاب العلم لحضورها من خلال وسائل التواصل الاجتماعي[54]؛ هذا فيما يتعلق بنظام المجالس الحرة بالجامع الأزهر، التي تعتمد فقط على علماء الأزهر الذين يحددون الكتب التي سيقومون بتدريسها في أروقة الجامع، دون التزام بمنهج تدريجي يراعي مستويات الطلاب، بينما يكون على الطالب نفسه التوجه للدرس الأقرب إلى مستواه العلمي، وهو مسار يختلف عن المسار النظامي الحر، الذي بدأ اتباعه بالرواق الأزهري إلى جانب نظام المجالس الحرة؛ حيث بدأ هذا المسلك النظامي منذ عام 2015م؛ مُحدثًا نقلة نوعية في التعليم الأزهري الحر والإقبال المجتمعي عليه؛ إذ يعمل هذا النظام على محاكاة التعليم الشرعي الأزهري النظامي، ولكن داخل أطر تعليمية حرة غير نظامية، يتمكن من خلالها غير الأزاهرة من تلقي العلوم الأزهرية بصورة متدرجة، كما هو راسخ في المنهج العلمي للأزهر، كما يتمكن من خلالها الأزهريون أنفسهم من زيادة تحصيلهم، وتعويض ما يفوتهم من دراساتهم النظامية[55].

وفي سبيل ذلك، تم تحديد فلسفة الدراسة بالرواق في أربع ركائز أساسية، هي: إدراك النص، وإدراك الواقع، وإدراك النفس، وإدراك الغير؛ وتبعًا لهذه الركائز الأربع تتوزيع الأنشطة التعليمية والاجتماعية التي تُقدمها أروقة الجامع الأزهر؛ والمقصود بإدراك النص هو ترسيخ علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية وعلوم المنطق والعقيدة والتصوف لدى طلاب الرواق، وهو الهدف الذي أنشئت من أجله أقسام: رواق العلوم الشرعية والعربية، ورواق القرآن الكريم، ورواق المتون العلمية، ورواق البحوث والنشر والتحقيق، ورواق المكتبة[56].

ويستهدف رواق العلوم الشرعية والعربية نوعين من الطلاب؛ يتمثل النوع الأول في الطلاب الأزاهرة الذين تُعقد لهم برامج تدريبية خاصة بهم، تستهدف تعميق المنهج الأزهري لديهم، بعد تأثر قطاعات منهم بالتيارات غير الأزهرية[57]، وخاصة التيار السلفي، الذي ظلت له الهيمنة الفكرية بين طلاب الجامعة الأزهرية

54 مقابلة موثقة مع الدكتور أيمن الحجار، المشرف على الرواق الأزهري بتاريخ 6 نوفمبر 2018، بمكتبه في رواق المغاربة بالجامع الأزهر. وانظر أيضًا الصفحة الرسمية للجامع الأزهر على موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» على الرابط: https://goo.gl/VqZvjP

55 المرجع السابق.

56 الرواق الأزهري: تقرير 1438هـ / 2017م، مرجع سابق، ص 21

57 مقابلة موثقة مع الدكتور أيمن الحجار، منسق الشئون العلمية بالجامع الأزهر، بتاريخ 6 نوفمبر 2018، بمكتبه في رواق المغاربة بالجامع الأزهر. وانظر أيضًا: الرواق الأزهري .. تقرير 1438هـ / 2017م، مرجع سابق، ص 55، 56

لفترات كبيرة، ظهرت آثارها بعد ثورة يناير، وفي سبيل ذلك أيضًا تم افتتاح فرع للرواق الأزهري بالمدينة الجامعية للبنات بجامعة الأزهر؛ بهدف نشر «المنهج الأزهري الوسطي» بين طالبات الكليات المختلفة، العلمية منها والشرعية[58].

أما النوع الثاني، فهم عامة الراغبين في دراسة العلوم الشرعية من غير المتخصصين ومن طلاب الجامعات الحديثة؛ حيث يسلك الدارس في هذا القسم العلوم الشرعية على المنهج الأزهري المتدرج؛ إذ يمر بأربع مراحل تعليمية، هي مرحلة «خريطة العلوم الشرعية والعربية»، ثم مرحلة «التمهيد في دراسة العلوم الشرعية والعربية»، ثم مرحلة «التكوين العلمي»، ثم مرحلة «التأصيل العلمي»[59]، وهي مراحل تراعي التطور في مستويات الطلاب العلمية، كما تتم الدراسة فيها بصورة نظامية ثابتة، على غرار الدراسة الجامعية الأزهرية؛ حيث تُعقد أغلب محاضراتها في كليات جامعة الأزهر بالدرّاسة، ويُحاضر فيها أعضاء من هيئات التدريس بهذه الكليات.

والجدير بالذكر بشأن مناهج التدريس بهذه الأروقة أن الدراسة تعتمد -في جميع المواد- على الكتب التراثية، خاصة لعلماء الأزهر القدامى؛ كالإمام السيوطي، فيما عدا مادة واحدة، وهي مادة «المنهج الأزهري» التي يتم فيها تدريس كتاب معاصر، وهو «معالم المنهج الأزهري» للدكتور محمد عبد الصمد مهنا؛ وهو كذلك الكتاب الوحيد الذي يتم توزيعه مجانًا على الطلاب في المرحلة الأولى من الدراسة[60]. ويعكس تخصيص الأزهر مادة كاملة لتدريس المنهج الأزهري، وإيضاح معالم التمايز بينه وبين غيره من المناهج السائدة في المجال الديني محورية قضية الصراع على المجال الديني، وعلى تشكيل العقلية المتدينة في المجتمع المصري في أذهان القائمين على هذه التوسعات في التعليم الأزهري الحر.

كما أن اعتماد الدراسة بالكامل في هذه الأروقة على الكتب التراثية التي تلقى هجومًا إعلاميًا كبيرًا بين الفينة والأخرى، يؤكد أن ثمة رغبة أزهرية للتصدي لهذا الهجوم الإعلامي، عن طريق الالتحام

58 رواق أزهري جديد بالمدينة الجامعية للبنات، جريدة صوت الأزهر، الأربعاء 26 من جمادى الآخرة 1439هـ / 14 مارس 2018، ص 9

وربما يُفسر لنا هذا التوجه دعم جامعة الأزهر لنشاط طلابي يُسمى بـ (أزهريون على المنهج)، وهو فريق طلابي يتبنى المنهج الأزهري، ويسعى لنشره بين الطلاب، و«إنقاذ طلاب الأزهر» من الأفكار «المستوردة»، التي تدفع الكثيرين منهم للاعتقاد ببدعية العقائد في الأزهر وانحرافها، وفي سبيل ذلك ينظم الفريق عددًا من الأنشطة الثقافية والفكرية التي تهدف لترسيخ المنهج الأزهري في التصوف والعقيدة؛ لمواجهة المد السلفي داخل جامعة الأزهر، وهو أحد الأنشطة الطلابية القليلة المسموح بممارستها داخل جامعة الأزهر منذ نهاية العنف الذي شهدته الجامعة بعد يونيو 2013. انظر: «أزهريون على المنهج»: الجامعة تسمح لنا بممارسة النشاط لأننا نتبع عقيدتهم (حوار)، موقع شبابيك، 1 نوفمبر 2017. http://shbabbek.com/show/133482

وحول إحدى الفعاليات الثقافية للفريق انظر: التصوف الحقيقي علم وسلوك، مجلة الرواق، العدد الثالث والثلاثون، ربيع الآخر 1439، ديسمبر 2017، ص 12

59 الرواق الأزهري .. تقرير 1438هـ / 2017م، مرجع سابق، ص 57

60 تقدم الباحث طالبًا بمرحلة خريطة العلوم الشرعية والعربية، ودرس فيها لفترة غير قصيرة؛ اطلع خلالها على مناهج الدراسة في الأروقة، كما لاحظ الباحث إقبالًا هائلًا من طلاب وخريجي التعليم الحديث، وشاهد في تلك الفترة عددًا غير قليل من الأزاهرة الذين يرغبون في دراسة مبادئ العلوم مع غيرهم من المبتدئين في دراسة العلوم الشرعية.

المباشر بالجماهير، وتيسير سبل الدراسة لهذه الكتب التراثية، وإتاحتها لفئات اجتماعية مختلفة خارج نطاق الأزهر[61]، وهو ما يدفع إلى القول إن الرغبة في الدفاع عن النفس ومواجهة الهجوم الإعلامي غير المسبوق على الأزهر والتعليم الأزهري من أهم دوافع هذه التوسعات الكبيرة في التعليم الأزهري الحر[62].

إذ لا يقتصر الأمر على محيط الجامع الأزهر وجامعته في القاهرة فقط؛ بل تتمدد أنشطة هذه الأروقة إلى عدد من المناطق بالقاهرة الكبرى، مثل التجمع الخامس وحدائق الأهرام وكرداسة، وعدد من المحافظات الأخرى، مثل الإسكندرية والدقهلية والقليوبية ودمياط وأسيوط[63]، وذلك في إطار خطة لإنشاء فروع للرواق الأزهري بكافة محافظات الجمهورية، وهو ما تم الإعداد له عن طريق عقد مسابقة لاختيار منسقين للرواق الأزهري بعشرين محافظة من محافظات الجمهورية، تتضمن اختبارات تحريرية، وتقديم دراسة حول رؤية المتقدم للنهوض بالرواق في محافظته[64]، وهي ميزة نسبية يتميز بها المسار التعليمي الحر للأزهر الرسمي؛ حيث يمتلك القدرات المادية التي تُمكنه من الانتشار في المحافظات والمناطق المختلفة، بصورة لا تتمكن منها مدرسة شيخ العمود ومعلموها «الجدد»[65].

وتستهدف هذه الأروقة المناطق والمحافظات ذات الكثافة السكانية العالية، والتي تعج بالتيارات الدينية غير الأزهرية، مثل مدينة الإسكندرية، التي ينتشر فيها التيار السلفي بصورة كبيرة؛ حيث يستهدف الرواق القضاء على «**الانحراف الفكري**» لهذه التيارات، «**التي تجعل المجتمع مجتمعًا منقسمًا**»[66]، وكذلك مدينة كرداسة، المعروفة بانتشار التيارات السلفية «المتشددة» فيها، وهو أمر ربما يعكس رغبة الأزهر في استثمار التحولات الجارية في المجال الديني منذ يونيو 2013، والمتمثلة في تراجع التيارات الإسلامية وانحسارها؛ بهدف تعزيز الحضور الأزهري في الفضاء العام، وتعزيز المرجعية الدينية للأزهر وعلمائه

61 يُذكر أيضًا أن الكتب التراثية والدراسة الفقهية المذهبية في معاهد الأزهر قبل الجامعية كانت قد توقفت في عهد الدكتور محمد سيد طنطاوي، واستُبدلت بكتب ميسرة في الفقه المقارن من تأليف الشيخ طنطاوي نفسه، إلا أن الشيخ أحمد الطيب أعاد الكتب التراثية للدراسة في المعاهد الأزهرية، وأعاد فكرة التخصص المذهبي للطلاب في المراحل الإعدادية والثانوية مرة أخرى، بعد توقفها في عهد الشيخ طنطاوي. انظر: أحمد محمود: خريطة المذاهب الفقهية في مصر، مرجع سابق. وانظر أيضًا تقريرًا بجريدة صوت الأزهر عن الإجراءات التي اتخذها الطيب منذ توليه مشيخة الأزهر وإعادة الكتب التراثية إلى قاعات الدرس في مراحل التعليم ما قبل الجامعي: جريدة صوت الأزهر، عدد الأربعاء 3 رجب 1439هـ / 21 مارس 2018، ص 9

62 نفى الدكتور أيمن الحجار في مقابلته مع الباحث أن يكون الهجوم الإعلامي على مناهج التعليم الأزهري من دوافع هذه التوسعات في المسار التعليمي الأزهري الحر، إلا أن ما عايشه الباحث خلال فترة دراسته بمرحلة خريطة العلوم الشرعية بنظام الأروقة الجديد أظهر له بوضوح استحضار العلماء والمُحاضرين بدروس ومحاضرات الرواق للهجوم على الأزهر والتعليم الأزهري كأحد أهم دوافع عملهم؛ حيث بدأت المحاضرات الأولى لأغلب المحاضرين بنقد حاد للأصوات المُهاجمة للأزهر والتعليم الأزهري، ودعوات كثيرة للأزهر أن يظل قادرًا على نشر العلم والفهم «الصحيح» للدين.

63 حصاد الخطاب الدعوي للأزهر في 2017، جريدة صوت الأزهر، الأربعاء 16من ربيع الآخر 1439هـ / 3 يناير 2018، ص 5

64 الرواق: اختبارات على وظيفة منسق بـ 20 محافظة، جريدة صوت الأزهر، الأربعاء 2 من شعبان 1439هـ / 18 أبريل 2018، ص 5

65 جدير بالذكر في هذا المقام عجز المناطق الأزهرية في بعض المحافظات عن إنشاء فروع للرواق الأزهري بمحيطها؛ نتيجة عدم امتلاكها علماء أكفاء قادرين على تدريس العلوم الشرعية، أو القيام بأدوار تتعدى الوعظ والإفتاء في مسائل فقهية محدودة، ويمثل ذلك عائقًا أمام انتشار مشروع الرواق الأزهري في كافة محافظات مصر؛ حيث يتطلب الأمر استقدام علماء من خارج المحافظة للتدريس بهذه الأروقة، وتعكس هذه الأزمة إشكالية ضعف التعليم الأزهري، وطبيعة عمل أغلب علماء الأزهر ووعاظه في الوقت الحالي كموظفين حكوميين، غير قادرين على وغير راغبين في تطوير معارفهم واستكمال تعليمهم.

66 مقابلة موثقة مع الدكتور أيمن الحجار، المشرف على الشئون التعليمية بالجامع الأزهر.

ومنهجه، وهو بالتأكيد أمر يصب في مصلحة الدولة، التي لا يزال صراعها مع الإسلاميين مستمرًا، كما أنه في صالح الأزهر وعلمائه؛ لاكتساب مزيد من النفوذ في المجال العام؛ ومن ثم مزيد من القدرة على تشكيل علاقات المجتمع والدولة في مصر.

ولا تقتصر أنشطة الرواق الأزهري على تعليم العلوم الشرعية فقط؛ فمن الركائز الأساسية لأنشطة الرواق «إدراك الواقع»، والمقصود به تحصيل الفهم الصحيح للواقع زمانًا ومكانًا وأحوالًا وأشخاصًا؛ بحيث يمكن توظيف المعارف الشرعية في معالجة الواقع توظيفًا صحيحًا، وهو الهدف الذي أُنشئ من أجله رواق الفكر والثقافة[67]، الذي يستهدف مواجهة التطرف الفكري العلماني من جانب، ومواجهة التعصب والتشدد والانغلاق الديني من جانب آخر، وذلك من خلال بعض الأنشطة الثقافية، مثل عقد الندوات واللقاءات الفكرية والصالونات الثقافية، وتعزيز التواصل مع المفكرين والمثقفين، وبيان مواقف الأزهر من القضايا الفكرية المختلفة التي تُطرح على الساحة الثقافية؛ وفي سبيل ذلك عقدت الندوات واللقاءات لمناقشة قضايا مثل علاقة الدين بالسياسة، وإمكانات التقارب والحوار بين الشرق والغرب، وقضية التشيع، وخطورة انتشاره، وإمكانات التقارب مع الشيعة، وموقف الأزهر منه، والتشدد الديني وخطورته، وقضايا الهجوم على التراث الإسلامي واتهامه بالحض على استباحة الدماء وغيرها[68].

ويُلاحظ بشأن أنشطة رواق الفكر والثقافة طابعها النخبوي التقليدي، الذي ربما لا يُقدم الكثير فيما يتعلق بالحضور الأزهري في الفضاء العام، واجتذاب قطاعات واسعة، خاصة من فئة الشباب المقبلين على الدراسة بالأروقة الأزهرية، ولعله كان من الأجدر بمثل هذا الرواق أن يهتم بوضع برامج تعليمية متخصصة في الدراسات الاجتماعية المختلفة؛ كعلوم السياسة والاجتماع والاقتصاد والإدارة وغيرها، كما هو الحال في مدرسة شيخ العمود مثلًا، أو حتى تنظيم دروس لشرح بعض الكتب التراثية المتعلقة بعلوم الاجتماع والعمران؛ كمقدمة ابن خلدون، كما يفعل بعض «المعلمين الجدد»، وهو الأمر الذي من شأنه تعزيز إدراك الواقع لدى طلاب العلم بالأزهر الشريف، وتعزيز قدرة الأزهر على استقطاب قطاعات أوسع من المثقفين والطلاب الجامعيين المهتمين بالشأن العام، والراغبين في ممارسة دور سياسي واجتماعي فاعل.

يُنظم الجامع الأزهر أيضًا عددًا من برامج الدراسات المتخصصة في موضوعات شرعية متنوعة، ولعل أكثر هذه البرامج نشاطًا هي «المجالس الحديثية» التي باتت تُعقد في صحن الجامع الأزهر، وتشهد حضورًا مُكثفًا، تنتشر صوره بشكل كبير على مواقع التواصل الاجتماعي، والملفت للنظر بشأن هذه المجالس هو اهتمام القائمين عليها بربط موضوعاتها بالشأن الإسلامي العام، انطلاقًا من «**دور الأزهر الفاعل، واهتمامه بمناقشة ومعالجة القضايا، ولم الشمل العربي والإسلامي محليًا ودوليًا**»؛ ومثال ذلك

67 الرواق الأزهري .. تقرير 1438هـ / 2017م، مرجع سابق، ص 22

68 المرجع السابق، ص 166-158

تنظيم مجلس حديث لقراءة وإسناد أحاديث فضائل بيت المقدس بالسند المتصل، وبحضور رئيس قطاع فلسطين والأراضي العربية المحتلة بجامعة الدول العربية[69]؛ وذلك بتاريخ 4 أغسطس 2017م؛ أي في ظل تزايد الحديث عن قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بشأن الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.

ومن المعروف أن الأزهر اتخذ موقفًا قويًا تجاه قضية نقل السفارة الأمريكية في إسرائيل إلى القدس، وأعلن عام 2018 م عامًا للقدس، مُنظمًا فيه العديد من المؤتمرات لرفض هذا القرار الأمريكي، وإحياء قضية القدس في نفوس المسلمين[70]، فضلًا عن إقدام إدارة الجامع الأزهر على رعاية تظاهرة حاشدة خرجت من رحم الجامع الأزهر، ووقفت في محيطه؛ رفضًا لقرار الرئيس الأمريكي[71].

ومما يؤكد اهتمام الأزهر بتعزيز حضوره في أوساط فئات اجتماعية مختلفة وبعيدة عن الطبقات الأزهرية التقليدية، قيام الرواق الأزهري بتنظيم دورات تدريبية في مجالات فنية وتقنية صرفة؛ حيث أنشأ ما يسمى بـ «رواق المكتبات وتكنولوجيا المعلومات»، وهو نشاط تعليمي هدفه تقديم تدريبات في مجال النظم الحديثة لإدارة المكتبات، فضلًا عن تدريبات أخرى يقوم الرواق الأزهري بتقديمها في مجال التنمية البشرية واللغات الأجنبية، ويقوم بتنظيم ندوات ومحاضرات خارجية في النوادي والتجمعات الاجتماعية المختلفة، وهي الأنشطة التي يقوم عليها ما يُسمى بـ «رواق التواصل الاجتماعي»، إلى جانب «رواق الإعلام» المسئول عن النشاط الإعلامي، وإذاعة صيت الأنشطة الأزهرية، عن طريق تصوير الدروس التي يلقيها العلماء في أروقة الأزهر، واقتطاع مقاطع مؤثرة منها، ونشرها على نطاق واسع في مواقع التواصل الاجتماعي[72].

فالمقصود بالرواق في الإستراتيجية الأزهرية الجديدة ليس مجرد الحلقات العلمية التي تُعقد في صحن الجامع فقط؛ ولكن يُقصد مجمل الأنشطة الاجتماعية والدعوية والتعليمية التي يُنظمها الجامع الأزهر، وإنما يتم استخدام اسم الرواق بهدف تحقيق الوصل التاريخي بعصور ازدهار الجامع الأزهر[73].

---

69 المرجع السابق، ص 109

70 انظر على سبيل المثال كتيب تعريفي حول: مؤتمر الأزهر العالمي لنصرة القدس 17 - 18 يناير 2018، الأزهر الشريف، مجلس حكماء المسلمين، القاهرة 2018

71 مظاهرة أمام الجامع الأزهر تنديدا بقرار ترامب، BBC عربي، 8 ديسمبر 2017 https://goo.gl/yeXDMh

ويُلاحظ أيضًا سماح إدارة الجامع لبعض أئمة الأوقاف بالتظاهر ضد الوزير داخل الجامع الأزهر، وهو ما يعكس صراعًا كبيرًا بين إدارتي الأزهر والأوقاف؛ بل وربما بين الأزهر والقيادة السياسية ذاتها. انظر: مئات الأئمة يتظاهرون بالجامع الأزهر للمطالبة بإقالة وزير الأوقاف، موقع أخبارك، يناير 2018. https://goo.gl/fqByRJ

72 الرواق الأزهري .. تقرير 1438هـ / 2017م، مرجع سابق، ص 212-234

73 مقابلة موثقة مع الدكتور أيمن الحجار، منسق الشئون العلمية بالجامع الأزهر، بتاريخ 6 نوفمبر 2018، بمكتبه في رواق المغاربة بالجامع الأزهر.

وفي الوقت ذاته، ثمة توسعات كبيرة لنشاط الوعظ والدعوة والإفتاء بالأزهر، وهو ما يظهر في توسعات لجان الفتوى لتشمل كافة القرى المصرية بعد أن كانت كل محافظة تضم لجنة واحدة للفتوى في عاصمتها[74]، إلى جانب مشروع لجنة الفتوى في محطة مترو الأنفاق، الذي لم يُكتب له الاستمرار طويلًا، إلا أنه عكس رغبة أزهرية جادة للانتشار الدعوي وملء الفراغات التي خلّفها تراجع التيارات الإسلامية[75]، واتجاه الأزهر لإنشاء منصات للفتوى الإلكترونية مثل «مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية» الذي يستهدف التصدي «**التصدي للفتاوى المتشددة، والحد من فوضى الفتاوى**»[76]؛ وربما يهدف الأزهر بذلك مزاحمة منصات الفتوى التي تعتمد المرجعية السلفية الوهابية، والتي تتمتع بنفوذ كبير في «سوق» الفتوى الإلكترونية[77]، وكذلك عشرات القوافل الدعوية التي يهتم مجمع البحوث الإسلامية بتنظيمها، والتي تقوم على انتشار وُعّاظ الأزهر في الشوارع والمقاهي؛ لوعظ الناس ودعوتهم إلى الالتزام بتعاليم الإسلام على النهج «الصحيح»»[78]، في ظاهرة تثير في الأذهان مشهد دعاة التيارات الإسلامية غير الأزهرية، بدءًا بحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان، الذي بدأ دعوته من المقاهي والنوادي والتجمعات الاجتماعية المُختلفة!

وتجتمع كل هذه المؤشرات لتؤكد أن ثمة رغبة أزهرية واضحة لتعزيز الدور التعليمي والدعوي والإرشادي لعلماء الأزهر في المجال العام؛ لمزاحمة التيارات الإسلامية التي غرّدت منفردة في أوساط الجماهير خلال العقود السابقة، دون منافسة أزهرية مباشرة تتخطى الشاشات التلفزيونية والقاعات الجامعية والفصول المدرسية والخطب المنبرية، وتسعى للاحتكاك الجاد والمباشر بالجماهير، موفرة لهم حاجات تربوية وتعليمية وإرشادية مختلفة؛ الأمر الذي تسعى الدراسة لبيان آثاره الاجتماعية خلال دراسة تحولات الفكر وتطورات السلوك الاجتماعي لدى طلاب الأروقة الأزهرية.

74 في حصاده السنوي لعام 2018 «البحوث الإسلامية»: لجان الفتوى أجابت عن 747 ألف سؤال مباشر من خلال اللجان الرئيسة والفرعية وعبر الموقع الرسمي، مجمع البحوث الإسلامية، 12 ديسمبر 2018. https://bit.ly/370Kj2t

في ملحق رقم (10) يجد القارئ خرائط تفصيلية لانتشار لجان الفتوى الأزهرية في 12 محافظة من محافظات الجمهورية؛ وهي خرائط أتاحها جناح الأزهر بمعرض القاهرة الدولي للكتاب عام 2018، بشكل مجاني لزوار قسم مجمع البحوث الإسلامية بالجناح.

75 محمود عبد الله: قراءة حول مشروع لجنة الفتوى، المركز العربي للبحوث والدراسات، 15 أغسطس 2017. http://www.acrseg.org/40553

76 التعريف بمركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية على موقعه الرسمي على الرابط: http://www.azhar.eg/fatwacenter/about

77 يكفي دليلا على ذلك محاولة للبحث عن فتوى معينة على محرك البحث «جوجل»؛ لتجد أغلب النوافذ التي ستصل إليها هي منافذ سلفية، تعتمد أقوال مشايخ المملكة السعودية، كابن باز وابن عثيمين.

78 بأكاديمية و500 ألف لقاء و3 آلاف قافلة... مجمع البحوث يودع 2018، مصر العربية، 10 ديسمبر 2018. https://goo.gl/aUq8yK

وانظر أيضًا تقريرًا إعلاميًا عن نزول علماء الأزهر إلى المقاهي لدعوة الناس: وعّاظ الأزهر في المقاهي، قناة الحدث على موقع يوتيوب، 12 أبريل 2017. https://goo.gl/MELCeX

ثانيًا- طلاب الرواق الأزهري وتحولات أنماط التدين

في هذا الجزء، تسعى الدراسة إلى بيان تأثير تزايد النشاط التعليمي للأروقة الأزهرية على حالة أنماط التدين السائدة في المجتمع المصري، من خلال دراسة التطورات في السلوك الاجتماعي للدارسين بهذه الأروقة، والناتجة عن تأثرهم بالتعليم الأزهري.

ويقدم تقرير الرواق الأزهري لعام 2017م بعض الأرقام والإحصائيات المهمة بشأن نوعية الطلاب المقبلين على الدراسة بالأروقة الأزهرية، منها: أن عدد الملتحقين بمنحة «القرآن الكريم» بالجامع الأزهر في عام 2017 هو 2000 دارس، بينهم 430 من الأزهريين مقابل 1600 من غير الأزهريين، وأن 93% من المتقدمين هم من المصريين مقابل 7% فقط من الأجانب، وفي «رواق المكتبات وتكنولوجيا المعلومات» بلغت نسبة الأزهريين بين المتقدمين 41% مقابل 59% لغير الأزهريين[79]، ولهذه الأرقام دلالات مهمة؛ حيث إن الإقبال على الدراسة بالمسارات التعليمية الحرة للجامع الأزهر قبل التطوير الأخير كان غالبا محصورًا على الأزاهرة دون غيرهم، وكان إقبال الطلاب الأجانب يفوق بمراحل إقبال الطلاب المصريين، كما أن اهتمام تقرير الرواق الأزهري ببيان نسبة الأزهريين مقابل غير الأزهريين من المستفيدين بخدماته التعليمية يعكس اهتمام القائمين على هذه الأنشطة بتفعيل حضور الأزهر في المجال العام، وتعزيز احتكاك علماء الأزهر بأبناء المجتمع المصري.

في المقابلات المتعمقة مع طلاب رواق العلوم الشرعية بالأزهر حرص الباحث على أن تكون المقابلات محصورة على الطلاب الذين تجاوزوا مرحلة «خريطة العلوم الشرعية»، وانتقلوا إلى المراحل المتقدمة من الدراسة في الرواق الأزهري؛ التمهيدية والتكوينية، وكان الغرض من ذلك انتقاء الطلاب الذين تأثروا بشكل جاد بالتعليم الأزهري، واستمروا لفترة كافية لوقوع تأثر عميق في شخصياتهم وفي أنماط تدينهم، ومع ذلك فقد كان لهذا الأسلوب بعض العيوب، من بينها أن القدرة على الاستمرار والاستقرار في السلك التعليمي بمراحل الرواق المتقدمة تتركز في كبار السن أكثر من الفئات الشابة؛ حيث تضم العينة طالبًا واحدًا يقل عمره عن العشرين عامًا، وثلاثة من الطلاب تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين، وطالب واحد يتراوح عمره بين الثلاثين والأربعين، وسبعة من الطلاب تزيد أعمارهم عن الأربعين عامًا.

كما أن أغلب الذين تمت مقابلتهم من ذوي النشأة الدينية الشعبية الطبيعية، المعتمدة على إذاعة القرآن الكريم، أو دروس علماء الأزهر في وسائل الإعلام، ولم يُفد سوى خمسة أشخاص فقط بتأثرهم بالتيارات الدينية الأخرى؛ أحدهم أفاد بأنه كان معتمدًا -اعتمادًا كاملًا- على التيار السلفي والقنوات الدينية السلفية، بينما قال الآخرون بأنهم تأثروا بكافة التيارات الدينية الموجودة على الساحة.

79 الرواق الأزهري ... تقرير 143هـ / 2017م، مرجع سابق، ص ص 45- 46

وتضم العينة تسعة من الذكور وثلاثة من الإناث، كما تضم طالبًا واحدًا يحمل شهادة متوسطة، وطالبًا واحدًا لا يزال في مرحلة التعليم الأساسي، وسبعة من الطلاب يحملون شهادات جامعية، أو يواصلون دراساتهم في مراحل البكالوريوس، وثلاثة من الطلاب يحملون شهادات فوق جامعية[80].

وهكذا يبدو أن العينة التي تمكن الباحث من مقابلتها في ظل صعوبات إدارية كثيرة ليست ذات قابلية كبيرة لتعميم نتائج مقابلاتها على كل مجتمع طلاب الرواق الأزهري، خاصة في ظل عدم تمكّن الباحث من الحصول على أرقام وإحصاءات بشأن الأعداد الكاملة لطلاب الرواق؛ ومع هذا فإن ما أدلى به المبحوثون من شهادات وملاحظات حول طبيعة الدراسة في الرواق الأزهري، والتطورات التي حدثت في شخصياتهم وأنماط تدينهم، تعد مهمة وجديرة بالفحص والتمحيص؛ لعلها تعطي دلالات جيدة حول التحولات الجارية في المجال الديني خلال فترة الدراسة.

وفيما يلي تستعرض الدراسة أهم ملامح التحول في أنماط التدين والسلوك الاجتماعي التي تم رصدها لدى هؤلاء الطلاب من خلال المقابلات المتعمقة، وأهم ملامح الاختلاف بين تجربة الدراسة وتلقي المعرفة الدينية من خلال الأروقة الأزهرية وبين مصادر المعرفة الدينية الأخرى التي تأثر بها هؤلاء.

أ- التعمق المعرفي والتخصص الأكاديمي وضعف الجانب التربوي:

تعددت إشارات الطلاب إلى تميز الدراسة في الرواق الأزهري بالطابع الأكاديمي، خاصة في ظل عقد المحاضرات بمدرجات كلية أصول الدين، وهو ما يُضفي عليها طابعًا أكاديميًا صرفًا، فتقول إحدى الطالبات: «**الدراسة في الأزهر أكاديمية أكتر منها وعظية؛ فليس كل أحد يُمكنه استكمال السلك التعليمي في الرواق الأزهري؛ إذ يحتاج استكماله إلى شخصية محبة للعلم والدراسة الأكاديمية المتخصصة، وليست تلك الشخصية الباحثة عن تأثير وعظي وروحاني وقتي سرعان ما يزول؛ ولكن التأثير العلمي العميق للتعليم الأكاديمي في الأزهر تأثيره ممتد ومستمر؛ بسبب التعرف إلى تفاصيل العلم ودقائقه، التي لا يصبر عليها الكثيرون**»[81].

80 اعتمدت المقابلات على دليل للمقابلة يضم مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالبيانات الشخصية مثل العمر والمستوى الدراسي، وأسئلة أخرى متعلقة بخبرات وتجارب تلقي المعرفة الدينية لدى المبحوثين، وأسئلة بشأن طبيعة الدراسة في الرواق الأزهري وتأثيره في شخصيات الدارسين وتفكيرهم وسلوكهم الاجتماعي؛ وثمة سؤال رابع عن تأثير الدراسة في الرواق الأزهري على التصورات السياسية للطلاب، ورؤيتهم لما يجب أن تكون عليه سبل الإصلاح الاجتماعي والسياسي، كان موجودًا ضمن أسئلة المقابلة؛ ولكن تم حذفه نزولًا على رغبة إدارة الرواق. وللرجوع لدليل المقابلة كاملًا انظر ملحق رقم (11).

81 النص الأصلي باللهجة العامية: «الدراسة في الأزهر أكاديمية أكتر منها وعظية، فمش أي حد يقدر يكمل فيها؛ لكن محتاجة شخصية حابة الدراسة الأكاديمية، مش شخصية عايزة تتأثر تأثر روحي وقتي وبعد كده يروح بسرعة، لأ تأثير التعليم الأكاديمي في الأزهر تأثير ممتد ومستمر؛ لأنك بتعرف تفاصيل العلم اللي مش أي حد يقدر يصبر عليها».

ويجيب أحد الطلاب عن سؤال حول الاختلاف بين الدراسة في الأروقة الأزهرية، وبين الدروس التي كان يحضرها من قبل لبعض مشايخ التيار السلفي وبعض المشايخ الأزاهرة المستقلين: «**معظم العلوم غير موجودة في الأماكن الأخرى، عدا النحو والتجويد وحفظ القرآن، وربما الحديث؛ ولكن ليس علمًا وتخصصًا؛ ولكن شرح وعظي عام لبعض الأحاديث، لكن علوم الصرف والبلاغة والعروض والقوافي ومصطلح الحديث والفقه المذهبي وأصول الفقه لا تُدرس خارج الأزهر إطلاقًا؛ كما أن الأماكن الأخرى تقوم بتدريس العقيدة لكن وفق المنهج السلفي فقط، ولا يوجد من يُدرّس التفسير بتعمق؛ إذ تكتفي دروس التفسير في المساجد العادية بحفظ بعض الآيات وشرحها، لكن علوم التفسير وعلوم القرآن ودراستها بشكل علمي لا توجد إلا في الأزهر، ومع ذلك فإن الميزة الوحيدة التي تتميز بها الدراسة مع السلفيين عن الدراسة في الأزهر تتمثل في جانب العبادات واجتهادهم فيها؛ هذا من ناحية التطبيق في العبادات، أما من ناحية العلم فالأزهر أقوى بالطبع**»[82].

ويجيب أحد الطلاب في المرحلة التمهيدية -ويبلغ من العمر 15 عامًا، وهو أصغر طلاب الرواق الأزهري على الإطلاق، ومن أكثرهم اجتهادًا في الوقت ذاته- عن سؤال بشأن تأثير الدراسة في الرواق الأزهري على شخصيته وسلوكه الاجتماعي: «**في البدايات أصبحت عصبيًا جدًا ومتوترًا من كثرة القراءة بدون هدف واضح؛ حيث كنت أقرأ كل كتاب تقع عيني عليه، دون أن أفهم بالضرورة كل ما فيه، وتسببت هذه العصبية في مشكلات كثيرة مع أسرتي، لكن أعطاني أحد أساتذتي في الرواق بعد ذلك كتابًا عن آداب طالب العلم، تعلمت منه كيف أتعامل مع إخوتي وأهلي، وكيف أكون متزنًا في قراءاتي وبحثي عن المعلومات، فأصبحت الآن أبحث فقط عن المعلومة التي أريدها، ولا أقرأ أي شيء بصورة عشوائية**»[83].

فذلك طفل بالمرحلة الإعدادية بالتعليم الحكومي العام وليس الأزهري، دفعته الأقدار للالتحاق بدراسة العلوم الشرعية بالرواق الأزهري ذي الطابع الأكاديمي الصرف الذي يفوق سنه، فكان تأثيره سلبيًا في البدايات على سلوكه الاجتماعي، المصحوب بحماسة شديدة للمعرفة الدينية، قبل أن يتداركه أحد مشايخ الرواق بالنصائح حول آداب طلب العلم، وربما يعكس ذلك غياب أو هامشية هذه الجوانب التربوية الدقيقة عن مناهج الدراسة في الرواق نفسه، لصالح التركيز على الجوانب الأكاديمية والتخصصية.

---

82 النص الأصلي بالعامية:»معظم العلوم مش موجودة في الأماكن التانية إلا يمكن النحو والتجويد وحفظ القرآن وممكن الحديث مش كعلم ولكن كشرح بعض الأحاديث البسيطة وخلاص، لكن علوم الصرف والبلاغة والعروض والقوافي ومصطلح الحديث والفقه المذهبي محدش بيشرحه بره خالص ولا وهو ولا أصول الفقه وكمان العقيدة في الأماكن التانية بتتدرس العقيدة السلفية بس ومحدش بيدرس تفسير إلا حاجات بسيطة خالص يحفظ آيتين وشرحهم ويقولهم في الجامع وخلاص مش علوم التفسير وعلوم القرآن اللي بناخدها في الأروقة .. لكن الميزة الوحيدة اللي شايفها في السلفيين أكتر من الأزهر هي تميزهم في جانب العبادات عباداتهم حلوة وبيطبقوها كويس وبيجتهدوا فيها، ده من ناحية التطبيق في العبادات أما من ناحية العلم فلأ الأزهر أقوى طبعًا».

83 النص الأصلي بالعامية: «في الأول بقيت عصبي جدا ومتوتر من كتر ما كنت بقرأ، وخلقي بقى ضيق وأهلي كانوا بيزعلوا مني، لكن الدكتور أيمن الحجار بعد كده إداني كتاب عن آداب طالب العلم، اتعلمت منه إزاي أتعامل مع إخواتي وأهلي وإزاي إن الظالمين هما اللي بيحضروا كل الدروس من غير هدف، وكمان والدي قالي ما شد الدين أحد إلا غلبه .. فبقيت دلوقتي بدور على الحاجة اللي عايزها بس مش بقرأ كل حاجة تيجي أدامي وخلاص».

وجدير بالذكر أن أقران مثل هذا الطالب صغير السن لدى التيارات الإسلامية الأخرى يتم التركيز معهم على جوانب السلوك والترفيه والرياضة وبر الوالدين وغيرها، وهو ما كان يفتقده النشاط التعليمي والتربوي في رواق العلوم الشرعية؛ قبل أن يُعلن الرواق في أواخر عام 2019م عن تنظيم «ملتقى الطفل» والذي يتضمن تدريب الطلاب من سن 5 سنوات وحتى 12 عامًا على مجموعة من المهارات الحياتية والآداب الإسلامية والأحكام الفقهية إلى جانب حفظ القرآن وتلاوته وتعلم السيرة النبوية[84].

يجيب طالب آخر عن سؤال حول الفارق بين الدراسة في الرواق الأزهري ودراسته السابقة في معهد إعداد الدعاة التابع لوزارة الأوقاف، ويقول: «**هنا العلماء مخلصون جدًا وملتزمون، فضلًا عن كونهم متخصصين .. فكرة التخصص هذه فكرة مهمة؛ لأنه في معهد إعداد الدعاة لم يكن التخصص ضروريًا، فمن الممكن أن يقوم أحد الشيوخ بتدريس التفسير دون أن يكون متخصصًا في التفسير**»[85].

ويقول طالب آخر عن الفارق بين دراسته في الرواق الأزهري ودراسته السابقة في معهد إعداد الدعاة بجامع النور في العباسية: «**المنهج واحد، والشيوخ في المعهد أزاهرة أيضًا، لكن هنا العلم على نطاق واسع، وفيه تعمق بصورة أكبر**»[86].

ويقول طالب بالمرحلة التكوينية عن الفارق بين أسلوب تلقيه للمعرفة الدينية في الرواق الأزهري، مقارنة بالوسائل التي كان يعتمد عليها سابقًا: «**كنت أستمع إلى كل المشايخ من كل التيارات؛ لكن كنا نقرأ بصورة خاطئة، ولم نكن نعرف سوى القشور فقط، وكنت أقرأ التفسيرات العامة المبسطة والقشور في الفقه؛ ولكن كلما تعمقت دراساتي في الرواق، كلما اختلفت نظرتي للحياة كثيرًا عن ذي قبل...**»[87].

ويقول طالب آخر في المرحلة التكوينية عن دوافعه للدراسة بالرواق الأزهري، وتأثير هذه الدراسة على شخصيته وسلوكه: «**في الوقت الحالي باتت الشبهات العنيفة تصل إلى داخل بيوتنا؛ فلم تعد الصلوات وحدها كافية للحفاظ على الدين، أنا جئت هنا لأدفع الشبهات عن نفسي، وأعالجها من خلال دراسة العلم الشرعي، وعلى الرغم من كوني قد كبرت بما يكفي لكي تتأثر شخصيتي وتتغير بشكل كبير؛ لكن مع التعمق في الدراسة ترسخ في ذهني أن الإنسان مادة وروح، وأصبحت أنقل هذا الشعور للناس؛ الحياة ليست مادية فقط، ولا يجب أن نحارب من أجل الكسب المادي بأكبر صورة ممكنة، كما هو حال النظرة**

84 صفحة الجامع الأزهر على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، 2 ديسمبر 2019

85 الأصل بالعامية: «هنا العلماء مخلصين جدا وملتزمين وكمان متخصصين .. فكرة التخصص دي فكرة مهمة؛ لأن في معهد إعداد الدعاة مكانش التخصص مهم أوي فممكن حد ييجي يكلمنا في التفسير وهو مش متخصص في التفسير».

86 الأصل بالعامية: «هو نفس المنهج والشيوخ أزاهرة هناك بردو لكن هنا العلم على نطاق واسع وفيه تعمق أكتر».

87 الأصل بالعامية: «كنت بسمع كل حاجة، أنا باحث لازم أشوف كله .. لكن كنا بنقرأ غلط وكنا بنعرف القشور بس كنا بناخد التفسيرات العامة المبسطة والقشور في الفقه .. والعلم طبعًا ملوش سن معين وأنا كل ما بتعمق في العلم نظرتي للحياة بتختلف .. زمان كانت فيّ نظرة أحادية للحياة لكن دلوقتي بهتم بالبحث عن رأي الدين في كل شيء».

السائدة للحياة في الوقت الراهن، وأيضًا أكسبتني المعرفة بالتراث ثقة كبيرة بالنفس، وأدركت كم أننا في الأصل أمة عظيمة وتراثها عظيم؛ لكن فقط نمر بكبوة حضارية، وهذه سنة الحياة»[88].

يُفيد ذلك الطالب بأن الجدل الذي يتصاعد بين الحين والآخر في وسائل الإعلام بين المثقفين «التنويريين» وعلماء الأزهر[89]، وغيره من أشكال النقاش العام المتعلق بالأديان بصفة عامة -والذي يصفه الطالب بـ «الشبهات»- كان من أهم دوافعه للالتحاق بالرواق الأزهري ودراسة العلوم الشرعية وفق المنهج الأزهري. وكما يشير ذلك إلى نجاح نسبي لفكرة الأروقة الأزهرية كوسيلة لدفاع الأزهر عن نفسه، وعن منهجه العلمي وعن التراث، إلا أنه يشير أيضًا إلى دور هذا الجدل الذي يُشعله المثقفون «التنويريون» في هجومهم على التراث الإسلامي في إعادة التراث ذاته إلى الجدل العام، وتعزيز اهتمام الجمهور بدراسته وفهمه في ساحات الأزهر العلمية، التي ليس ثمة بديل لها خلال فترة الدراسة.

ويُلاحظ أيضًا أن دراسة العلم الشرعي -ولو كانت أكاديمية بحتة- إلا أنها تُرسّخ عند بعض الدارسين مركزية الوحي والغيب، وتنقله من العالم المادي البحت إلى الجوانب الروحانية الغيبية، دون الحاجة بالضرورة للتصوف والمواعظ وغيرها، تبعًا لفسلفة العلم الشرعي ذاته، المنطلق من الوحي، كما أن التعمق العلمي لطلاب الرواق الأزهري يُكسبهم معرفة كبيرة بالتراث الإسلامي، وطبيعة علوم المسلمين القدماء؛ مما يُكسبهم اعتزازًا بالحضارة الإسلامية وإنتاجها المعرفي.

ويقول طالب آخر عن التغيير الذي لاحظه في شخصيته بعد الدراسة في الرواق الأزهري: «**محاور حياتي انقلبت وتغيرت بالكامل.. بدأت أشعر بأني قريب من نيل العلوم وتحصيلها على حقيقتها، وأصبحت واثقًا بنفسي بصورة كبيرة لم أكن عليها من قبل**»[90].

---

88 الأصل بالعامية: «دلوقتي بقى في شبهات عنيفة بتوصل جوا بيوتنا، فمبقتش الصلوات وحدها كافية للحفاظ على الدين، أنا جاي علشان أدفع الشبهات عن نفسي وأعالجها من خلال دراسة العلم الشرعي .. وعلى الرغم من إني كبرت بما يكفي لأن شخصيتي تتأثر وتتغير بشكل كبير لكن مع التعمق في الدراسة ترسخ في ذهني إن الإنسان مادة وروح، وبقيت أنقل ده للناس الحياة مش مادية بس ومش لازم نحارب علشان نكسب أكتر حاجة، ودي للأسف نظرة العالم للحياة السائدة دلوقتي، فأنا عامة بسعى للتحرك بشخصية المسلم .. كمان المعرفة بالتراث أكسبتني ثقة كبيرة بالنفس، وإن إحنا في الأصل أمة عظيمة وتراثها عظيم لكن بس بنمر بكبوة حضارية ودي سنة الحياة».

89 يُقصد بالمثقفين التنويريين أولئك الباحثين والكتاب المهتمين بالتراث الإسلامي ونقده، ودرجوا خلال السنوات الأخيرة من فترة الدراسة على الهجوم على الأزهر والمنهج الأزهري؛ بحجة تدريسه للكتب التراثية الممتلئة بالأفهام المغلوطة للدين، والتي توجد مبررات للجماعات الإرهابية، وعلى رأسها كتب المذاهب الفقهية الأربعة، وربما أشهر نموذج لهؤلاء الإعلامي إسلام البحيري، وكذلك إبراهيم عيسى وغيرهما.

90 الأصل بالعامية: «محاور حياتي انقلبت واتغيرت بالكامل .. لما الواحد شاف الموضوع كده في الرواق الواحد حس إنه هيقرب من العلم وياخد العلم على أصله .. بقيت واثق من نفسي غير قبل كده طبعًا».

ويقول طالب بالمرحلة التكوينية عن دوافعه للدراسة في الرواق الأزهري: «**لأنه مصدر أكاديمي موثوق أفضل من المصادر العامة الأخرى**»[91]، ويقول بشأن تأثير هذه الدراسة على حياته الشخصية وسلوكه الاجتماعي: «**أهم شيء أني أصبحت أعبد الله على علم، واكتشفت كم كنت جاهلًا**»[92].

وتقول طالبة بالمرحلة التمهيدية: «**التعليم هنا أكاديمي بحت؛ لكنه مختلف عن التعليم الرسمي في جامعة الأزهر، أنا ابني طالب في جامعة الأزهر، وأعرف أن بيئة الدراسة في الرواق أفضل من الدراسة النظامية في جامعة الأزهر؛ لأن الأساتذة هنا متطوعون، والطلبة يحضرون باختيارهم، فبيئة الدراسة في الرواق الحر أفضل بكثير من التعليم النظامي الرتيب شبه الإجباري**»[93].

ويقول طالب بالمرحلة التمهيدية -وهو في الأصل طالب بقسم الدراسات الإسلامية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر-: «**ما كنت أدرسه في المعهد الأزهري قبل الجامعة كان قليلًا جدًا، ولم يكن بالمعهد مدرسون لديهم علم أصلًا؛ كما أن شعورك بأنك في دراسة إلزامية ومنهج مفروض عليك مثلما كنا في المراحل الإعدادية والثانوية، أو حتى في الجامعة الآن؛ حيث أساتذة الجامعة غير مهتمين، ولا يوجد أي تعليم حقيقي في قسم الدراسات الإسلامية الذي أدرس فيه الآن؛ كل هذه عوامل منفرة من العلم ومن الدراسة في المسار التعليمي الأزهري الرسمي؛ ولكن عندما أجد كل هذا الاهتمام في الرواق، وأجد كل هؤلاء العلماء الكبار، وهم من يريدون منا المجيء، ويحثوننا عليه، فأشعر أنه مشروع جاد، وأمتلك دافعًا قويًا للتعلم واستكمال الدراسة**»[94].

ويبين ذلك الفارق بين النظام التعليمي الأزهري الرسمي -الذي أصابه ما أصاب التعليم في مصر بشكل عام؛ من رتابة وتراجع في المستوى العلمي- وبين التعليم الحر من خلال نظام الأروقة المدفوع بالجانب التطوعي الاختياري من جانب الطالب والمُعلم، وهو ما تكون ثماره أكبر بكثير من ثمار التعليم النظامي التقيدي.

وربما تعكس هذه الآراء تأثير الرواق الأزهري على القطاعات المهتمة بالجانب العلمي، وليس مجرد المهتمين بتلقي مواعظ عابرة أو فتاوى سريعة، من الجمهور الذي انجذب لخطاب التيارات الإسلامية

---

91 الأصل بالعامية: «علشان مصدر أكاديمي موثوق أحسن من المصادر العامة التانية».

92 الأصل بالعامية: «أهم حاجة بقيت بعبد الله على علم، واكتشفت كم كنت جاهلًا».

93 «هنا التعليم أكاديمي بحت؛ لكن مختلف عن التعليم الرسمي في جامعة الأزهر، أنا ابني في جامعة الأزهر وأنا عارفة إن جو الدراسة في الرواق أحسن من الدراسة النظامية في جامعة الأزهر؛ لأن هنا الأساتذة متطوعين والطلبة جايين باختيارهم فالجو في الرواق أحسن».

94 الأصل بالعامية: «اللي كنا بندرسه في المعهد الأزهري قبل الجامعة كان قليل جدًا ومكانش في مدرسين عندهم علم أصلًا .. ولما تبقى حاسس إنك في دراسة إلزامية ومنهج مفروض عليك زي ما كنا في إعدادي وثانوي، أو حتى في الجامعة دلوقتي أساتذة الجامعة مش مهتمين ولا في تعليم ولا حاجة، يعني الدراسات الإسلامية اللي بندرسها في الكلية دي ضعيفة جدًا.. فلما تيجي تلاقي الاهتمام ده كله في الرواق وتلاقي علماء كبار بالشكل ده وهما اللي عايزينك تيجي فتحس إنك مع ناس مش جايين يهزروا ولا يعلبوا، وكمان التعامل مع المشايخ هنا بيديك روح إنك تتعلم».

المختلفة خلال عقود ما قبل ثورة يناير 2011؛ وبذلك يمكن القول إن دور الرواق الأزهري فيما يتعلق بنشر نمط التدين الأزهري يقتصر فقط على التأثير في النخب المثقفة المهتمة بالتعلم والتعليم والدعوة والنشاط الاجتماعي، والتي تتولى بدورها الاحتكاك المباشر بالجمهور في مختلف المحافل الاجتماعية، والتأثير فيها وفقًا للمنهج الأزهري.

ب- تعزيز النفوذ الأدبي للأزهر وعلمائه:

من أهم تداعيات نشاط رواق الأزهري -كما رصدناها خلال المقابلات- استعادة النفوذ الأدبي لعلماء الأزهر في نفوس طلاب الرواق، ويعد ذلك مدخلًا مهمًا لتعزيز الحضور الأزهري في المجال العام، بأن تترسخ الصورة الذهنية الإيجابية عن علماء الأزهر وقدراتهم المعرفية، وهي الصورة التي كانت قد تغيرت بفعل نشاط التيارات الإسلامية، وبفعل ضعف الحضور الأزهري في المجال العام، وبفعل التحاق الأزاهرة بالدولة بصورة كاملة، كما ذكرنا من قبل.

في إجابته عن سؤال بشأن ملاحظاته حول تحولات السلوك الاجتماعي لطلاب الرواق بعد تأثرهم بالدراسة فيه لفترة كافية، أشار الدكتور أيمن الحجار -المشرف على الشؤون التعليمية بالجامع الأزهر- إلى استخدام الطلاب للفظ «سيدنا» في حديثهم مع مشايخ الأزهر بعد أن كان بعضهم يرفض استخدام هذا اللفظ ويتحفظ عليه، ويحيلنا ذلك إلى ما طرحته زينب البقري في دراستها عن مدرسة شيخ العمود؛ حيث تقول: **«من أكثر المفردات المتداولة بين أفراد شيخ العمود هي: «مولانا، سيدنا، شيخنا» في مخاطبة المشايخ، ووصف من يحضرون جلسات العلم الشرعي بأنهم السلاطين والسادات والأمراء ... دلالة على إعادة خلق وتكريس علاقة تستحضر سلطة الشيخ والمعلم...»**[95]، وذلك من أهم ملامح التقارب بين نشاط الرواق الأزهري الرسمي ونشاط المعلمين الجدد ومدرسة شيخ العمود؛ ولذلك دلالات مهمة حول التأثير المشترك للنشاط التعليمي الأزهري الرسمي وغير الرسمي في المجال الديني.

يقول أحد الطلاب بالمرحلة التكوينية بالرواق الأزهري: **«من أهم مزايا الدراسة في الرواق التعرف إلى العلماء عن قرب، وبالتالي زاد مقامهم وقيمتهم عندي»**، وتقول طالبة أخرى: **«من المبادئ الأساسية التي تعلمتها في الأزهر ألا ننتقد المشايخ إلا إذا بلغنا نفس الدرجة من العلم»**[96]، وذلك في معرض انتقادها لشباب التيار السلفي، الذين ينتقدون علماء الأزهر بسبب معتقدهم الأشعري.

95 زينب البقري، مرجع سابق، ص 87

96 الأصل بالعامية: من الحاجات الأساسية اللي اتعلمتها في الأزهر إننا لا ننتقد المشايخ إلا إذا بلغنا نفس الدرجة من العلم».

ويقول طالب آخر: «**كان لدي تصور عن علماء الأزهر أنهم موسوعيون وليسوا فقط مقتصرين على العلوم الشرعية؛ ولكنهم دارسين للفلسفة والثقافة الحديثة، وقد وجدت ذلك فعلًا، ولكن بشكل أكبر لدى مشايخ أروقة الجامع نفسه أكثر من المدرسين والأساتذة الذين يقومون بالتدريس لنا في رواق العلوم الشرعية**»[97]، وهو يقصد بذلك أن الدراسة على الشكل التراثي في أروقة الجامع الأزهر نفسه تتميز بالتوسع والتعمق الشديد في العلم؛ نظرًا لكونها دراسة حرة مطلقة، ليس بها ذات الشكل المنظم المنهجي المعمول به في رواق العلوم الشرعية، الذي تُعقد محاضراته بكلية أصول الدين على غرار التعليم الأزهري النظامي.

ويقول طالب آخر: «**يتعامل الأساتذة بهدوء شديد في الرد على الأسئلة الحساسة التي تطرح عليهم، وهذه الأسئلة لو طرحت على مشايخ أي تيار آخر ستكون انفعالاتهم شديدة، وأيضًا يحضر معنا أبناء تيارات دينية أخرى، ويقومون بكثير من الجدال والنقاش مع الأساتذة الذين يردون على تساؤلاتهم بمنتهى الهدوء والتواضع، فأشعر بتواضعهم هذا أن الدنيا لا تزال بخير**»[98].

وعلى أي حال، فإن استعادة الثقة في علماء الأزهر، وزيادة احتكاكهم بقطاعات واسعة من المجتمع، خاصة من النخب المهتمة بالفعالية في المجال الديني، قد يكون من أهم تداعياته في المجال العام تعزيز النفور من المثقفين الإسلاميين وقيادات العمل الإسلامي ومشايخ التيار السلفي محدودي العلم الشرعي، بعد ترسخ فكرة التخصص في العلم، التي يركز عليها دائمًا علماء الأزهر ويتفاخرون بها، وهو ما قد يكون من نتائجه بعيدة المدى ترسيخ الفصل بين العمل الدعوي والعمل السياسي، وعدم القبول المجتمعي لتصدر غير المؤهلين من جماعات الإسلام السياسي للدعوة والوعظ والإفتاء، والبحث عن المتخصصين المؤهلين من علماء الأزهر.

ث- المذهبية الفقهية واختلاف النظر إلى الحلال والحرام:

من الأركان الرئيسة للمنهج الأزهري -كما سبق وذكرنا- المذهبية الفقهية؛ حيث يعتمد الأزهر المذاهب الأربعة في الفقه الإسلامي، ويُدرّسها لطلابه، وكذلك يتم في الرواق الأزهري إتاحه علماء متخصصين في المذاهب المختلفة؛ بحيث يقوم الطلاب باختيار المذهب الذي يلتحقون به، والمذهبية الفقهية من أهم ملامح الخلاف بين التيار السلفي المعاصر الذي يتجاوز المذاهب الأربعة، ويعتمد جمهوره إما على فتاوى ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، أو على فتاوى علمائه المعاصرين، وخاصة من مشايخ المملكة العربية السعودية،

97 الأصل بالعامية: كان عندي تصور عن علماء الأزهر إنهم موسوعيين مش بس مقتصرين على العلوم الشرعية، ولكن عارفين الفلسفة والثقافة الحديثة، وده لقيته موجود فعلًا، ولكن خصوصا بشوفه في المشايخ اللي بيدرسوا في أروقة الجامع نفسه أكتر من هنا».

98 الأصل بالعامية: «كمان الهدوء اللي الدكاترة بيردوا بيه على الأسئلة الحساسة اللي لو في أي تيار تاني هتلاقي انفعالات شديدة على الأسئلة دي، وحتى بتلاقي أبناء تيارات أو أفكار تانية بييجوا يدرسوا معانا في الرواق، وبيجادلوا كتير، وتلاقي الدكاترة بيجادلوهم بهدوء عادي جدًا؛ علشان نشر الفكر والأخلاق الصحيحة .. وتواضع الدكاترة والمشايخ والعلماء بيحسسك إن الدنيا لسه فيها خير».

أو على اجتهاداتهم الفردية والشخصية من خلال قراءاتهم الخاصة للنصوص، وتكون هذه الأقوال هي المعتمدة في فتاواهم وآرائهم الدينية، وليست الأقوال المعتمدة في المذاهب المختلفة.

ولذلك، فإن الفتاوى السلفية تنقل -في الغالب- رأيًا أحاديًا، ولا تعتد بالخلاف إلا في أضيق الحدود؛ بينما تتسم الفتاوى الأزهرية باستيعاب التنوع المذهبي، واحترام الخلاف الفقهي، والتيسير على المستفتين استنادًا لهذا الخلاف؛ ومن ثم فإن نمط التدين الأزهري يختلف من حيث السلوك الاجتماعي عن نمط التدين السلفي المعاصر، فيما يتعلق بالنظر إلى الحلال والحرام، وما يترتب عليه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، أو الدخول في مساجلات مع المجتمع من أجل إثبات حرمة شيء معين، أو تصنيفه بدعة، أو غير ذلك.

تم رصد هذا التحول في السلوك الاجتماعي لدى طلاب رواق العلوم الشرعية بالأزهر، فيقول طالب بالمرحلة التكوينية -كان قبل دراسته في الرواق الأزهري يكتفي بتلقي المعرفة الدينية من مشايخ التيار السلفي وقنواتهم الدينية-: «**أدرس هنا أن المسألة لها عدة أوجه، وفيها أقوال وآراء متعددة، وأن الخلاف محترم ومُقدر، فعندما يسألني سائل عن حكم ديني معين أعرض عليه تلك الآراء المتعددة، ولكن لا ألزمه بشيء منها، بينما كنت في السابق أعرف رأيًا واحدًا، وأؤمن بأنه هو الصواب، وأن خلافه خطأ وباطل**»[99].

ويقول طالب آخر -عن أهم تأثيرات الدراسة في الرواق الأزهري على شخصيته وسلوكه-: «**توسيع الأفق في الاختلاف؛ لأن من القواعد الأساسية التي نتعلمها هنا أنه لا إنكار على المختلف فيه، فأصبح عندي استيعاب للاختلاف بين الناس، حتى في الطباع، وليس فقط في الفقه**»[100].

وتقول إحدى الطالبات -منتقدة تصرفات فتيات التيار السلفي اللاتي يأمرن بارتداء النقاب؛ بحجة كونه فرضًا-: «**أحيانًا تدخل علينا فتيات التيار السلفي في المسجد، ويخبروننا بوجوب ارتداء النقاب، ويأمروننا به، وأنا أعرف أن ذلك خطأ ولا دليل عليه**».[101]

وفيما يبدو، فإن داخل مجتمع طلاب الأروقة توجد بعض مظاهر الصراع السلفي – الأزهري، من خلال سعي بعض الطلاب من التيار السلفي لإقناع طلاب الأروقة بخطأ المنهج الأزهري وبدعيته، فتقول هذه الطالبة نفسها: «**حضرت ذات مرة درسًا لشيخ سلفي، دلتني عليه زميلة سلفية تدرس معنا هنا في الرواق؛ وعُقد الدرس من خلال مكالمة صوتية عبر الإنترنت، ويظهر من صوت ذلك الشيخ أن عمره**

99 الأصل بالعامية: «هنا بعرف إن المسألة ليها عدة أوجه وفي آراء متعددة، وفي خلاف محترم، فلما حد بيسألني عن حاجة معينة بقول آراء متعددة لكن مش بلزمه بشيء، غير زمان كنت أعرف رأي أحادي بس بقول كده صح وكده غلط».

100 الأصل بالعامية: «توسيع الأفق في الاختلاف لأن من القواعد الأساسية اللي بنتعلمها هنا (لا إنكار على المختلف فيه)، فبقى عندي استيعاب للاختلاف بين الناس حتى في الطباع كمان مش في الفقه بس».

101 الأصل بالعامية: «بشوف البنات السلفيين يدخلوا علينا الجامع ويقولولنا إنتو لازم تلبسوا نقاب، والنقاب واجب، مع إن ده أصلًا مش صح».

لا يتعدى الـ 22 عامًا، ولم يكن مؤهلًا، ولا لديه علم كاف. أخذ يتحدث عن فساد عقيدة الأزهر، ويحاول إقناعنا بذلك؛ ولكنني سألته: أين تلقيت العلم الشرعي؟ فأخبرني أنه تلقى العلم على يد شيوخ في الأزهر أيضًا؛ لكنه لم يُفصح عن أسمائهم، ودلني على كتاب يثبت صحة آرائه، فأحضرت الكتاب، وعرضته على أحد الأساتذة في الرواق، فأخبرني بأن هذا الكتاب ممنوع أن يدخل الأزهر أصلًا»[102].

ويعكس ذلك حدة الاستقطاب السلفي - الأزهري في المجال الديني، وإيلاء الطرفين اهتمامًا كبيرًا بالقضايا الاعتقادية والفقهية الخلافية، كما يُعد ذلك من مظاهر المعركة المشتعلة خلال فترة الدراسة في المجال الديني بين التيار السلفي المعاصر والتيار الأزهري بعد هذه الصحوة التعليمية الأزهرية.

المزيد من مظاهر هذه الصراعات والتحولات في أنماط التدين التي تعتمل في المجال الديني خلال فترة الدراسة تخبرنا بها شهادات الناشطة والمدونة السلفية (سارة محمد حسن)، والتي يمكن تصنيفها ضمن «المرتدين عن السلفية المعاصرة»[103]، التي نشرت سيرتها وتحولاتها الفكرية من السلفية المعاصرة ومنهجيتها اللامذهبية في الفقه إلى الدراسة المذهبية في كتاب اسمه «كنت سلفية وأصبحت سلفية»، شنت فيه حربًا ضروسًا على التيار السلفي المعاصر، ونمط التدين والتربية المرتبط بها، فتقول: «**كنت سلفية، أنتمي إلى جماعة السلفيين المعاصرين، الذين هم في الحقيقة فئة معزولة عن جماعة المسلمين الكبيرة .. فصرت مسلمة من جملة المسلمين وعامتهم، أنتمي إلى السلفية الحقيقية، سلفية أحمد بن حنبل والشافعي ومالك وأبي حنيفة.. أنتسب إلى السلف الصالح بحق، أرفع بمذاهبهم رأسي بفخر واعتزاز، أتلمس أن أنهل من نهر التراث .. صرت سلفية بعد أن كنت سلفية! لكن شتان بين مشرّق ومغرّب!**»[104].

هذه الناشطة هي طالبة بإحدى الكليات العملية بجامعة الأزهر؛ ولكنها لم تكن تعتمد على الأزهر كمصدر للمعرفة الدينية على الإطلاق؛ بل كان جُل اعتمادها على مشايخ التيار السلفي المعاصر، ووفق شهادتها فقد كانت مولعة بالجدل مع الأشاعرة داخل جامعة الأزهر ومحاججتهم، فتنقل حديثًا لها مع أحد شيوخها، وتقول: «**كثيرًا ما طالت بيننا المحادثات في مناقشة مسألة يشرحها، أو شرح بعض كتبه التي قرأتها وأسأله عنها، ناقشته في شبهات الأشاعرة، وتكلمت معه عن جدالي معهم في الجامعة، وانتهى الحوار بأن نصحني بترك الجدل: - أمال أروح الكلية أعمل إيه؟ - نعم؟ - أنا أروح الكلية أعمل إيه يعني؟**

---

102 الأصل بالعامية: «حضرت مع شيخ سلفي قالتلي عليه واحدة سلفية معانا هنا في الرواق، عمل درس عن طريق الموبايل، كان باين من صوته إن عنده 21 أو 22 سنة بالكتير ومعندوش علم أصلًا .. قعد يقول عقيدة الأزهر غلط، وأنا سألته إنت اتعلمت فين قالي اتعملت على إيد شيوخ في الأزهر بردو بس مرضيش يقول اسمهم، وقالي على كتاب بيثبت صحة كلامه، فجيبت الكتاب ووريته للدكتور هنا قالي الكتاب ده ممنوع يدخل الأزهر أصلًا».

103 مصطلح «المرتدون عن السلفية المعاصرة» تم تداوله على مواقع التواصل الاجتماعي لوصف بعض أبناء التيار السلفي الذين أعلنوا تراجعهم عن تفكيرهم، وهاجموا ذلك التيار ومشايخه بشدة، والتحاقهم بالمنهج الأزهري؛ إما فيما يتعلق بالمذهبية الفقهية وحدها، أو فيما يتعلق بكافة أركان المنهج في العقيدة والسلوك.

104 سارة بنت محمد حسن: كنت سلفية وأصحبت سلفية، القاهرة، دار رهاف للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2018، ص 7.

ـ **لتتعلمي .. صدمني رده؛ فأنا لا أذهب للجامعة لكي أتعلم أصلًا؛ بل أذهب لأجادل!»**[105]. ويعكس ذلك بعض ملامح الصراع والاستقطاب السلفي الأزهري داخل جامعة الأزهر نفسها، وهو الصراع الذي تنتبه له القيادة الأزهرية، وتعتبره من مؤشرات الاختراق السلفي للأزهر.

وتقول هذه الناشطة السلفية عن نمط التدين والتربية لدى التيار السلفي المعاصر: «**الحقيقة .. الحقيقة التي ينبغي الاعتراف بها: أن الطريقة السلفية في التعلم لم تربِّ طلابًا؛ بل ربت متعالمين إلا من رحم الله! نادرًا ما رأيت طالبًا يعرف قدر شيخه، بل كل طالب يعتبر رأسه برأس شيخه، ولا يجلس منه مجلس الطالب، بل يجلس منه مجلس الند، فلا ينتفع ـإي والله ـ لا ينتفع»**[106]، وهي بهذا الكلام وبمواضع أخرى كثيرة ومتكررة في كتابها تتهم غالب التيار السلفي بالفقر العلمي، مع ادعاء العلم والفقه؛ ومن ثم التشديد على الناس، والاستعلاء عليهم، والانعزال عنهم.

ومع ذلك، فإنه يظهر لدى بعض طلاب الأروقة الأزهرية شعور مماثل بالتميز عن أقرانهم من عامة الناس، من خلال دراستهم للعلوم الشرعية في الأزهر، فتقول إحدى الطالبات: «**أصبحت أستثمر وقتي في أشياء مفيدة ومهمة، ولم أعد أهدره على مواقع التواصل الاجتماعي مثل باقي الناس؛ فأنا موجودة أغلب يومي في الأزهر، وأشعر بأني مختلفة عن الآخرين؛ حيث أجد في الجامع الأزهر وأروقته حياة هادئة ومريحة مختلفة عن الحياة العادية خارجه، وأيضًا فإن نظرتي للحياة مختلفة عن عامة الناس؛ فبينما تعلمت أن الحجاب يجب أن يكون طويلًا ومحتشمًا ـوليس فقط مثل غطاء الرأس القصير الذي تكتفي به البنات ـ يقول الناس في الخارج إنني فتاة صغيرة وعلي أن أتمتع بشبابي!»**[107].

ويقول طالب آخر: «**أنا أسكن في منطقة شعبية جدًا، ولأني اجتماعي بطبعي فقد كنت مختلطًا بكل سكان هذه المنطقة، الطيب منهم والخبيث؛ حتى أولئك المتسولين واللصوص كنت أتحدث إليهم وأتعامل معهم بصورة طبيعية؛ لكن عندما بدأت الدراسة في الرواق الأزهري انشغلت تمامًا، ولم أعد أضيع وقتي مع هؤلاء، وأصبحت أقضي أغلب يومي في الأزهر، ولا أعود إلا ليلًا إلى بيتي مباشرة؛ ولكن عندما تأتي فرصة لأتكلم مع أحدهم في أمور الدين وأوجه له نصائح مما تعلمت في الأزهر لا أتأخر عن ذلك»**[108].

---

105 المرجع السابق، ص 193

106 المرجع السابق، ص 193

107 الأصل بالعامية: بستغل وقتي في حاجات مفيدة ومهمة، مش بضيعه على السوشيال ميديا زي باقي الناس؛ لأني بكون موجودة اليوم كله في الأزهر .. حاسة إني مختلفة عن باقي الناس .. الأروقة والجامع الأزهر حاجة تانية وحياة تانية خالص غير براهم .. أنا مثلا اتعلمت إن الحجاب لازم يكون واصل للنص مش بس طرحة صغيرة وجيبة زي ما البنات ما بتلبس .. إنما الناس برا يقولوا عيشي حياتك البنت الصغيرة لازم تعيش سنها!».

108 الأصل بالعامية: أنا بصراحة ساكن في منطقة شعبية جدا، وكنت مختلط بكل الناس اللي فيها؛ الحلو والوحش، حتى اللي بيعملوا كل الحاجات اللي ممكن تتخيلها حتى المتسولين والحرامية وكده .. لكن لما جيت الأزهر انشغلت خالص ومبقتش أضيع وقتي مع الناس دي، وبقيت معظم الوقت في الأزهر وباجي من الأزهر بالليل على البيت على طول، وكمان سيبت المكان اللي كنت ساكن فيه، وروحت مكان تاني أهدى شوية، فبعدت عن الناس دي أكتر .. وأنا دايما لما بتيجي فرصة أكلم حد منهم وأقولهم نصايح دينية على أد علمي بقولهم، وكنت كده زمان بردو بس مكانش عندي معرفة كبيرة تخليني أقدر أتكلم معاهم في الدين زي دلوقتي».

فعلى الرغم من كون نمط التدين الأزهري يبدو بطبيعته أقل تشددًا وأقل حدة في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -انطلاقًا من احترام الخلاف الفقهي، وعدم التمسك برأي وحيد والإنكار على من يتركه إلى غيره، كما هو حال نمط التدين السلفي المعاصر، فضلًا عن اتساقه مع كثير من الممارسات الدينية الشعبية، مثل الاحتفال بالموالد، وغيرها من الممارسات التي يعتبرها السلفيون بدعية- إلا أنه مع ذلك مشوب بشعور بالاستعلاء على المجتمع، والاغتراب عنه، يظهر لدى المنخرطين في الدراسة بالرواق الأزهري، وهو الشعور ذاته الذي يوجد بدرجات متفاوتة لدى مختلف التيارات الدينية في مصر.

ج- الرواق الأزهري منفذًا بديلًا وآمنًا ومجانيًا للمعرفة الدينية:

أجاب أحد الطلاب عن سؤال بشأن دوافع الالتحاق بالدراسة في رواق العلوم الشرعية: «**كنت أرغب في أن أتعلم ديني بصورة عميقة، فبدأت أبحث عن أماكن لدراسة العلوم الشرعية، وسمعت عن مسجد يتم فيه تدريس صحيح البخاري وإجازة الحاضرين على يد أحد مشايخ التيار السلفي؛ ولكن عندما ذهبت إلى هناك لم تعجبني الأجواء؛ حيث الزحام وضيق المكان، فقررت الذهاب للأزهر، والسؤال هناك عن مثل هذه الدورات، فأخبروني عن رواق العلوم الشرعية، فانتظمت فيه، ولا زلت مستمرًا، حتى وصلت إلى المرحلة التكوينية التي أدرس فيها حاليًا**»[109].

وأجابت إحدى الطالبات: "**تم تجفيف كل المنابع الأخرى، ولم يعد يوجد على الساحة غير الأزهر كمنبع أصيل يمكننا الوثوق به والتعلم منه عن تراثنا؛ ولولا أن باقي المنابع قد أُغلقت وتم التضييق عليها لما كنا سنُجبر على تحمل المجيء إلى الأزهر رغم بعد المسافة وطول الطريق؛ ولكن أيضًا تتميز الدراسة في الرواق الأزهري بالمجانية، وبجودة اللوجستيات المتوفرة للطلاب، وهي -بشكل عام- فكرة ممتازة، والأجمل إصرار إدارة الأزهر على استمرار الأروقة، على الرغم من كل المشاكل التي يتعرض لها الأزهر في الفترة الأخيرة**»[110].

ويؤكد كلام هذه الطالبة أن تراجع حضور التيارات الدينية الأخرى في المجال العام منذ الثلاثين من يونيو لعام 2013 ترك فراغًا كبيرًا، يسعى الأزهر لملئه؛ استثمارًا لهذه اللحظة التاريخية، التي ربما يتمكن فيها من استرداد نفوذه الضائع في المجال العام، يساعده على ذلك جودة بيئة الدراسة واللوجستيات المتوفرة

109 الأصل بالعامية: «كنت عايز أتعلم الدين أكتر، فبدأت أدور على أماكن أدرس فيها الدين وكان في إجازة في صحيح البخاري بيديها شيخ سلفي في جامع من الجوامع، لكن لما روحت لقيت المكان صغير والدنيا زحمة ومعجبنيش الجو هناك خالص، فقولت أروح أسأل في الأزهر في حاجة عندهم بتدي إجازات أو كده فقالولي على الدورات دي، ومن ساعتها وأنا منتظم في الرواق».

110 الأصل بالعامية: «تم تجفيف كل المنابع الأخرى ومبقاش موجود غير الأزهر كمنبع أصيل نقدر نثق فيه ونتعلم منه عن التراث بتاعنا .. ولولا إن باقي المنابع اتقفلت إيه اللي كان هيجبر الناس تيجي مخصوص لحد الأزهر وتضرب المشوار ده كله علشان تدرس؟! .. كمان الدراسة مجانية، والفكرة ممتازة، والإصرار على إن الأروقة تستمر على الرغم من كل المشاكل اللي الأزهر بيتعرضلها حاجة كويسة جدًا، والعلماء ثقات، والمكان واللوجيستيات ممتازة».

في الرواق الأزهري، مقارنة بزحام المساجد والعشوائية الموجودة بالمنافذ الأخرى، كما نلحظ في كلامها التناسب الطردي بين جاذبية الخطاب الأزهري وظهور بعض الخلافات بين القيادة الأزهرية والقيادة السياسية، فيما يتعلق بالخطاب الديني، وإصرار الأزهر على الاحتفاظ بقدر من الاستقلالية في خطابه بعيدًا عن رغبات السلطة السياسية، وهذه قضية في غاية الأهمية، وهي أنه كلما تحرر الخطاب الأزهري من قبضة الدولة ومن سلطة النظام السياسي، كان لخطابه جاذبية كبيرة في المجال الديني، على حساب خطابات التيارات الدينية الأخرى.

وفي السياق ذاته، تقول طالبة أخرى: «**خطاب التيارات الدينية الأخرى ممتلئ بالاستقطاب والتوجيه السياسي في اتجاهات معينة؛ ولكن هنا في الرواق الأزهري الدراسة علمية وأكاديمية بحتة، ولا يوجد مثل هذا الاستقطاب والتوجيه السياسي إلا بقدر ضئيل لصالح السياسات العامة للدولة؛ ولكن هذا التوجيه مقارنة بخطاب التيارات الأخرى يعتبر قليلًا للغاية**»[111]. ويؤكد ذلك أن الميزة النسبية لتلقي المعرفة في المنافذ الأزهرية مقارنة بالاعتماد على منافذ التيارات الأخرى، تتمثل في عدم وجود مصلحة سياسية مباشرة لها علاقة بالصراع السياسي للأزهر وعلمائه، كما هو الحال لدى مشايخ التيارات الدينية الأخرى، وأن هذه الميزة النسبية يُفسدها ذلك القدر من الارتباط بين الأزهر والسلطة، وقيام بعض علمائه بالترويج للسياسات العامة للدولة، وانحيازهم لها.

وفي المقابل، تُقدم لنا الناشطة السلفية (سارة محمد حسن) تحليلًا لنفور طلاب العلم من أبناء التيار السلفي من دراسة الفقه المذهبي وفق المنهج الأزهري، فتقول: «**ثم إن ربط التمذهب بالتصوف والتمشعر من أسباب تنفير السلفيين عن التمذهب جملة**»، وتقول: «**ومن مخاوفي أيضًا تلك الفئة من الأزاهرة الذين يدعون الانتساب إلى المذاهب؛ لكنهم يفتون بما ترجح عندهم من فتاوى لا تمت للمذاهب بصلة، تُنقض لها عرى الدين عروة عروة! هؤلاء الذين يعدون الوجه الآخر لعملة «الراجح عندي»، لكن بلهجة «التيسير» الذي يبلغ حد التمييع. ثم يرددون في وقار نحن ضد فقه القول الواحد، والفهم الضيق للنصوص! وكأن سعة المذاهب الأربعة تضيق عندهم ونحتاج إلى أفهامهم لننطلق! هؤلاء من أسباب نفور السلفيين من التمذهب؛ لما يرون في فتاواهم من انفلات مخز**»[112].

وربما يعكس ذلك أهمية قضية استقلال الخطاب الأزهري، وعدم ظهوره بمظهر المبرر والمشرعن للواقع، وهو ما يتسبب في نفور القطاعات الشابة المتحمسة للدين، والتي تعاني من أزمات حقيقية مع واقعها

111 الأصل بالعامية: «التيارات التانية فيها استقطاب وتوجيه سياسي في اتجاهات معينة .. هنا الموضوع ده بسيط والدراسة علمية وأكاديمية بحتة، مع إن بردو في قدر بسيط من التوجيه السياسي لصالح السياسات العامة للدولة، بس مش كبير أوي زي الأماكن التانية».

112 المرجع السابق، ص ص 373- 374

وفي حياتها اليومية، فيتهمون الأزهر بـ «تمييع الدين»، ويتوجهون لخطابات دينية أخرى أكثر غضبًا، وأكثر رفضًا للواقع المعيش.

ومن أهم العوامل التي أشاد بها طلاب الرواق، والتي تدفعهم للاستمرار في الدراسة، مجانية التعليم في الرواق الأزهري بشكل كامل، خلافًا للمدارس الأخرى المنتشرة، مثل مدرسة شيخ العمود مثلًا، التي تعتمد في تمويلها بالأساس على اشتراكات الدورات، فتقول طالبة بالمرحلة التكوينية: «**أنا أدرس في الأروقة الأزهرية الموجودة بالجامع الأزهر نفسه من فترة كبيرة قبل ظهور هذا النظام الجديد لرواق العلوم الشرعية، وكل الدروس التي حضرتها في الأزهر حتى الوقت الحالي مجانية تمامًا، وأنا أيضًا أدرس في منحة القرآن الكريم، التي نحصل منها على إجازة مجانية، هذه الإجازة لو سعيت للحصول عليها من الخارج ستكلفني ما لا يقل عن 2000 جنيه**»[113].

كذلك، فإن الرغبة لدى البعض في الالتحاق بالتعليم الأزهري، والحصول على الشهادة الأزهرية، تُمثل دافعًا مهمًا للإقبال على الدراسة في الرواق، وبديلًا جيدًا عن إغلاق باب الالتحاق بالكليات الشرعية بجامعة الأزهر لخريجي الجامعات المدنية الأخرى، فيقول طالب بالمرحلة التكوينية: «**أنا في الأصل كنت أرغب في الالتحاق بكلية أصول الدين؛ لأنه كان متاحًا من قبل الالتحاق بها لخريجي الجامعات المدنية، ولكن علمت بأن ذلك النظام قد تم إلغاؤه؛ فدلني أحد الأصدقاء على نظام الأروقة الجديد، فقررت الانتظام فيه**»[114].

خاتمة:

تخلص هذه الدراسة إلى أن المجال الديني في مصر خلال فترة الدراسة شهد توسعًا للأزهر وعلمائه الرسميين والمستقلين، وللمنهج الأزهري على حساب المناهج التربوية والتعليمية للتيارات الإسلامية الأخرى، في ظل حالة التفتت والتراجع الكبير التي تمر بها التيارات الإسلامية التقليدية، وخاصة جماعة الإخوان المسلمين والتيار السلفي، وأن هذا الأمر من شأنه تقديم بديل ديني وتربوي وتعليمي لقطاعات واسعة من الشباب انفضت عن التيارات الإسلامية التقليدية[115].

كما يتميز هذا التوسع الأزهري في المجال الديني بكونه مُوجهًا من قِبل الدولة والمجتمع على السواء؛ فليس هو مجرد جزء من سياسات سلطة سياسية تخوض صراعًا جذريًا مع تيارات الإسلام السياسي فقط،

113 الأصل بالعامية: «أنا بدرس في الأروقة اللي في الجامع من زمان قبل ما يعمل النظام الجديد ده والدراسة كلها مجانية .. أنا كمان موجودة في منحة القرآن الكريم اللي باخد منها إجازة مجانية، الإجازة دي لو عايزة أعملها برا ممكن تكلفني مش أقل من 2000 جنيه».

114 الأصل بالعامية: «أنا أصلًا كنت عايز أدخل كلية أصول دين بس عرفت إن ده اتمنع مع إنه كان متاح زمان، فواحد صاحبي قالي على الأروقة فجيت علشان عايز أتعلم الدين عامة».

115 للمزيد حول ظاهرة إلحاد شباب التيارات الإسلامية جراء التطورات السياسية بعد الثلاثين من يونيو 2013 انظر: أحمد زغلول شلاطة: حالة التدين في مصر .. إلحاد الإسلاميين نموذجًا، مكتبة الإسكندرية، سلسلة مراصد، العدد 27، الإسكندرية، ديسمبر 2017

وإنما هو -في الوقت ذاته- توجه قطاعات نشطة من أصحاب التعليم الأزهري، والمستقلين عن الدولة، الذين تختلف أفكارهم ورؤاهم السياسية بصورة كبيرة عن التصورات والرؤى التي تتبناها السلطات الحاكمة، أو التي تتبناها المؤسسة الأزهرية الرسمية؛ بل وتتفق -بشكل أو بآخر- مع رؤى وأفكار الكثير من تيارات المعارضة السياسية، وهو ما يدحض ما يراه الكثيرون من أن التوسعات الدعوية والتعليمية للمنهج الأزهري –خاصة بعد سيطرة الأوقاف على المساجد بشكل مُحكم، وإغلاق القنوات الدينية التي يديرها الإسلاميون، وافتتاح قنوات دينية جديدة تابعة للمنهج الأزهري- يعد جزءًا من تأميم الدولة للمجال الديني، يصب في مصلحة النظام السياسي الجديد دون غيره[116].

وبالتالي يمكن القول إن مجموع الأنشطة التعليمية والتربوية المُنطلقة من المنهج الأزهري، والتي ينظمها الأزهر الرسمي وبعض المؤسسات المجتمعية المستقلة، تُعبر في مُجملها عن حالة من العلاقة التعاونية بين بعض التكوينات المجتمعية والدولة، تستهدف ترسيخ نمط التدين الأزهري على حساب أنماط التدين التي تبنتها الجماعات والتيارات الإسلامية التقليدية غير الأزهرية، وأن هذا النشاط -في مجموعه- يُسفر عن تغيرات كبيرة في المجال الديني في مصر، يتمثل أبرزها في تعزيز مرجعية الأزهر وعلمائه في الشأن الديني على حساب مرجعية مشايخ التيار السلفي وقيادات التيارات الإسلامية، وتعميم نمط التدين الأزهري؛ ليشمل قطاعات من الفاعلين السياسيين المعارضين للنظام، ويعني ذلك نهاية الارتباط الشرطي بين نمط التدين الأزهري والمواقف السياسية المحافظة، إلا أن هذه الأنشطة أيضًا تُعبر في الوقت ذاته عن حالة صراعية على المستوى الفكري والمذهبي شغلت المجال الديني خلال فترة الدراسة؛ وتتمثل في الصراع بين المنهجين السلفي والأزهري.

وتجدر الإشارة إلى أطروحة لحسام تمام في مقال نشره عقب تولي الشيخ أحمد الطيب مشيخة الأزهر؛ حيث توقع أن يقوم الطيب بإعادة الأزهر ومنهجه ونمط التدين المرتبط به إلى مراكز النفوذ في المجال الديني في مصر والعالم الإسلامي، ويقول: «**لكن هذه العودة لن تمر إلا بمعركة كبيرة لإعادة تحديد التيار السائد في التدين والفاعل في الحالة الدينية، وهي معركة سيكون عنوانها الأبرز مواجهة المد السلفي الوهابي الذي بلغ منتهاه، وهي معركة يتوقف على نتيجتها مصير الحالة الدينية في مصر؛ لكنها لن تقتصر في حدودها عليها؛ بل ستمتد لكل العالم السني ومؤسساته الدينية، خصوصًا في مراكزها التاريخية: مصر والمغرب والشام وتركيا والهند**»[117].

116 انظر مثلًا: أحمد زغلول شلاطة: تأميم المجال الديني في مصر، ورقة مقدمة إلى مُؤتمر: بالإخوان أو دونهم: التيارات المحلية والإقليمية والدولية داخل الإسلاموية (2013-2015)، معهد العلوم السياسية، باريس، 29/30 أكتوبر 2015

117 حسام تمام: هل يعيد الشيخ الطيب زمن الأزهر الشريف؟، مرصد الظاهرة الإسلامية، 25 أغسطس 2010. http://cutt.us/0QWFg

ولعل هذه التوسعات في التعليم الأزهري الحر، إلى جانب التوسع في الحضور الأزهري على مستوى الفتاوى الشرعية لعموم الناس من خلال لجان الفتوى التابعة للأزهر، سواء تلك اللجان المنتشرة في المحافظات ويتم توسيع رقعة انتشارها لتشمل أغلب المراكز والقرى المصرية، أو منصات الفتوى الإلكترونية التي بدأ الأزهر يهتم بتأسيسها ورعايتها، وما يرتبط بكل ذلك من تحولات في الفكر والسلوك لقطاعات غير قليلة من المتأثرين بالتيارات السلفية والتيارات الإسلامية المختلفة باتجاه التزام المنهج الأزهري، خاصة في أنماط التعليم والسلوك، يُعد من مؤشرات هذه العودة ونتائجها.

ومما يؤكد ذلك، أن بعض دعاة التيار السلفي بدأوا يتنبهون إلى ذلك التحول في أنماط التدين، ويُحذرون أتباعهم منه؛ باعتباره نوعًا من أنواع الانحدار في مستوى التدين، وقد انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي محاضرة ألقاها الداعية السلفي «أحمد عبد المنعم» بعنوان (أنماط التدين المعاصر)، ينتقد فيها ما سمّاه بـ «التدين المعرفي»، الذي يعتمد على تلقي العلوم الشرعية في المنافذ التعليمية التي تعتمد المنهج الأزهري، ويتهم هذا النمط من التدين بالتسبب في الخواء الروحي لدى المتدينين، مع قدر من المعرفة الشرعية، التي تدفعه لترك الكثير من الفضائل التي كان يواظب عليها؛ بحجة كونها مسائل مختلفًا فيها، مثل النقاب وغيره، ويشكو أيضًا من اعتماد هذا «التدين المعرفي» للإنشاد الصوفي وزيارات الأضرحة كبديل روحي للهمّ الرسالي والدعوي الذي يقوم عليه نمط التدين السلفي، منتقدًا مظاهر توجه الشباب للأضرحة والموالد، بعد أن كانت تلك المظاهر في العقود السابقة محصورة على كبار السن فقط[118].

118 أنماط التدين المعاصر، ج 1، سلسلة إشكاليات للدكتور أحمد عبد المنعم، قناة شبكة الطريق إلى الله، موقع يوتيوب، 12 نوفمبر 2018. https:// www.youtube.com/watch?v=3ZpODvpPR7E

قائمة المراجع

- **الوثائق والمصادر الأولية:**
  - الرواق الأزهري: تقرير عام 1438ه/2017م.
  - مجلس أمناء شيخ العمود، **دليل الدراسة بمسارات وأنظمة مدرسة شيخ العمود (التعريفي- الأروقة- المجالس- الكتاب- التثقيفي- الندوات)**، ربيع الآخر1439هـ/ يناير2018م.
- **المقابلات:**
  - مقابلة أ. عماد أحمد (المدير التنفيذي لمدرسة شيخ العمود).
  - مقابلة الشيخ أحمد المالكي (عضو المكتب الفني لمشيخة الأزهر).
  - مقابلة الشيخ/ أنس السلطان (مؤسس مدرسة شيخ العمود).
  - مقابلة د. أيمن الحجار. (المشرف العام على الشئون التعليمية بالجامع الأزهر).
  - مقابلة متعمقة مع 12 طالبًا بالرواق الأزهري.
- **الكتب:**
  - سارة بنت محمد حسن، **كنت سلفية وأصحبت سلفية**، دار رهاف للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة2018
  - محمد عبدالصمد مهنا، **معالم المنهج الأزهري**، مطابع الأزهر الشريف، القاهرة 2018
  - **مؤتمر الأزهر العالمي لنصرة القدس 17-18 يناير2018**، الأزهر الشريف- مجلس حكماء المسلمين، القاهرة 2018
  - أحمد زغلول شلاطة: **حالة التدين في مصر .. إلحاد الإسلاميين نموذجًا**، مكتبة الإسكندرية، سلسلة مراصد، العدد 27، الإسكندرية، ديسمبر 2017.
  - أحمد زغلول شلاطة: **تأميم المجال الديني في مصر**، ورقة مقدمة إلى مُؤتمر: بالإخوان أو دونهم: التيارات المحلية والإقليمية والدولية داخل الإسلاموية (2013-2015)، معهد العلوم السياسية، باريس، 30/29 أكتوبر 2015
- **الرسائل العلمية:**
  - زينب إسماعيل البقري، **تحولات جيل شباب الإسلاميين: ما بين البحث عن هوية ورفض التنظيمات**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، معهد الدوحة للدراسات العليا، الدوحة2017
- **دراسات ودوريات علمية:**
  - أحمد محمود، **خريطة المذاهب الفقهية في مصر**، من كتاب: **الحالة الدينية المعاصرة في مصر 2010-2014 «دراسة تحليلية وميدانية»**، الجزء الأول، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، القاهرة2017
- **مواقع الإنترنت:**

- **«أزهريون على المنهج»: الجامعة تسمح لنا بممارسة النشاط لأننا نتبع عقيدتهم (حوار)**، موقع شبابيك، 1 نوفمبر 2017 http://shbabbek.com/show/133482
- **اجتماع مجلس إدارة الجامع الأزهر ... عودة الدراسة لأروقة المسجد وتشكيل لجنة هندسية لترميم المبني**، بوابة الأزهر الإلكترونية، 21 يناير 2014. https://goo.gl/FsdkPv
- أحمد سعد الدمنهوري، **ظاهرة جنود الله في المعركة الخطأ**، 25 يونيو 2013. https://goo.gl/QaP6YQ
- أرشيف مدرسة شيخ العمود على الرابط: https://sheikhalamoud.org/archive#53
- **إلحادٌ ورقاعة برعاية شيخين من شيوخ الازهر**، الموقع الرسمي لجبهة علماء الأزهر، 21 ديسمبر 2018. https://goo.gl/kF5peB
- **الأمير محمد بن سلمان والرئيس السيسي بالأزهر بعد ترميمه**، موقع العربية، 19جمادي الثاني1439ه/6مارس2018م. متاح على الرابط: https://goo.gl/47nxf9
- **أنس السلطان.. شيخ العمود الشاهد على أحداث الثورة**، موقع شفاف، 26 مايو 2015. http://www.shafaff.com/article/4808
- أنس السلطان، **رسالة إلى باسم يوسف: قبِّل يد شيخ الأزهر!**، مدونات الجزيرة، أبريل2017. https://goo.gl/BjuZRp
- أنس السلطان، **وجاء دور الأزهر (بكائية الثور الأسود)**، مدونات الجزيرة، أبريل2017. متاح على الرابط: https://goo.gl/LonzSN
- **أنماط التدين المعاصر** ج 1 سلسلة إشكاليات للدكتور أحمد عبد المنعم، قناة شبكة الطريق إلى الله، موقع يوتيوب، 12 نوفمبر 2018. https://www.youtube.com/watch?v=3ZpODvpPR7E
- **بأكاديمية و500 ألف لقاء و3 آلاف قافلة.. مجمع البحوث يودع 2018**، مصر العربية، 10 ديسمبر 2018. https://goo.gl/aUq8yK
- التعريف بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية على موقعه الرسمي على الرابط: http://www.iiss-egypt.org/Page30.htm
- التعريف بمركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية على موقعه الرسمي على الرابط: http://www.azhar.eg/fatwacenter/about
- حسام تمام: **هل يعيد الشيخ الطيب زمن الأزهر الشريف؟**، مرصد الظاهرة الإسلامية، 25 أغسطس 2010. http://cutt.us/0QWFg
- الصفحة الرسمية للجامع الأزهر على موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك».
- الصفحة الرئيسية لموقع مدرسة شيخ العمود على الرابط: https://sheikhalamoud.org
- الصفحة الشخصية للشيخ أحمد الدمنهوري على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك.
- الصفحة الشخصية للشيخ أنس السلطان على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك.
- الصفحة الشخصية للشيخ علاء عبدالحميد على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك.

- **عناوين الدورات التي نظمتها مدرسة شيخ العمود متاح على الرابط:** http://sheikhalamoud.org/archive
- **في هذا المكان.. مع الشيخ أنس السلطان**، قناة الجزيرة مباشر، موقع يوتيوب، 26 يناير2012. متاح على الرابط: https://goo.gl/GAvKm3
- الفيديو التعريفي لمدرسة شيخ العامود على موقعها الرسمي متاح على الرابط: http://sheikhalamoud.org/
- قائمة المحاضرين بمدرسة شيخ العمود على موقعها الرسمي متاح على الرابط: http://sheikhalamoud.org/instructors
- محمد مختار جمعة، **مصر والجامع الأزهر**، أوقاف أون لاين، 6 يناير2014. http://cutt.us/gzQsW
- محمود عبدالله، **قراءة حول مشروع لجنة الفتوى**، المركز العربي للبحوث والدراسات، 15 أغسطس2017. http://www.acrseg.org/40553
- **مظاهرة أمام الجامع الأزهر تنديدا بقرار ترامب**، BBC عربي، 8 ديسمبر 2017. https://goo.gl/yeXD-Mh
- وصف مدرسة شيخ العمود لنفسها على موقعها الرسمي متاح على الرابط: http://sheikhalamoud.org/about
- **وعّاظ الأزهر في المقاهي**، قناة الحدث على موقع يوتيوب، 12 أبريل 2017. https://goo.gl/MELCeX

- **الصحف والمجلات:**

- **أفرع جديدة للرواق .. ودورات تدريبية نهاية الشهر الحالي**، جريدة صوت الأزهر، الأربعاء 23 من ربيع الآخر 1439هـ - 10 يناير 2018، ص2
- **حصاد الخطاب الدعوي للأزهر في 2017**، جريدة صوت الأزهر، الأربعاء 16من ربيع الآخر 1439هـ-3يناير2018، صـ5
- **رواق أزهري جديد بالمدنية الجامعية للبنات، جريدة صوت الأزهر**، الأربعاء 26 من جمادى الآخرة 1439هـ - 14 مارس2018، ص9.
- **الرواق: اختبارات على وظيفة منسق بـ20 محافظة**، جريدة صوت الأزهر، الأربعاء 2 من شعبان 1439هـ - 18 أبريل2018، ص5
- جريدة صوت الأزهر، عدد الأربعاء 3 رجب 1439ه -21 مارس2018، ص9

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021